http://www.shamela.ws
تم إعداد هذا الملف آليا بواسطة المكتبة الشاملة

الكتاب : السيرة الزكية للمرأة الإباضية لبدرية الشقصية
ترقيم الصفحات آلي غير موافق للمطبوع

السيرة الزكية للمرأة الإباضية

الكاتب: بدرية بنت حمد بن خليفة الشقصية

* المقدمة
* التمهيد
* (آمنة زوج الإمام جابر بن زيد)
* (الشعثاء بنت الإمام جابر)
* (عاتكة بنت أبي صفرة)
* (هند بنت المهلب بن أبي صفرة)
* (البلجاء الخزامية)
* (عبيدة بنت أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة)
* (سعيدة المهلبية)
* (نانا مارن)
* (أم أبي ميمون الجيطالي)
* (أم يحيى زوج أبي ميمون الجيطالي)
* (أم زعرور زوج أبي محمد التغرميني)
* (أم جلدين)
* (ابنة أبي مسور يصلتين النفوسي الأدوناطي)
* (أم الخطاب زوج أبي يحيى الأزدالي)
* (بهلولة زوج أبان بن وسيم)
* (ابنة أبان بن وسيم النفوسي وتكفا بنت أبي عثمان)
* (منزو بنت أبي عثمان المزاتي)
* (زورغ الأرجانية)

* (زوج مهدي الويغري)
* (فتاة من ندباس)
* (زوج محمد بن محبوب الرحيلي)
* (أخت أبي حفص عمروس المساكني)
* (الزهراء السقطرية)
* (الغاية زوج أبي القاسم يزيد بن مخلد)
* (غزال (أم أبي الحاتم))
* (نانا تابر كانت السدراتية)
* (زوجتا أبي هارون موسى بن هارون)
* (عافية (أم ماطوس))
* (زينب بنت أبي الحسن)
* (طوست زوج أبي عبد الله محمد بن تامر)
* (أم ماكسن بن الخير)
* (أمة الواحد زوج أبي عامر التصراري)
* (عائشة بنت معاذ بن أبي علي)
* (عائشة بنت محمد بن يوسف العبرية)
* (عائشة الريامية)
* (راية البيمانية)
* (ماما ستّي)
* (أم الشيخ صالح بن علي بن ناصر الحارثي)
* (ستي بنت عمر نتموسني)
* (عائشة بنت الناصر محرزي وابنتها)
* (سليمة الصقرية)
* (شمسة الخليلية)
* (عائشة العامرية)
* (نقية بنت عامر بن سالم بن راشد الحجرية)
* (مامة بنت عبد العزيز)
* (عائشة بنت عمر بن سليمان)
* (مامة بنت سليمان)
* (نساء في محراب العبادة)

* (الأستاذة المربية ماهلة)
* (ولطريق العلم سالكات)
* (وللقرآن حافظات)
* (معلمات لأفضل الكتب)
* (حقاً صائمة)
* (ثرية... ولكن)

---

* (من أولياء الله)
* (صاحبة الكرامة)
* (أم اليتامى ومفرحة الأطفال)
* (راية بنت سويلم بن علي البليشية الطبيبة العابدة)
* (مامة شيخة بنت إبراهيم بكير)
* (ميرة بنت يحيى)
* (زعيمة البارونية)
* (ثريا البوسعيدية)
* (عائشة الحارثية)

المقدمة

الحمد لله الذي خلق فسوى، وقدر فهدى، وكرّم بني آدم وجعل منهم الزوجين الذكر والأنثى، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد؛؛؛

فإنه مما لا ريب فيه أن تأمل سير الصالحين ودراسة تاريخهم لمما يحفز الهمم الفاترة، ويثير العزائم الخامدة، ويدعو لاقتفاء آثارهم، وسلوك منهاجهم يقول الله عزوجل: (لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب)(1)، وسير أولئك الأعلام تبقى منارات هداية للسالكين طريق الاستقامة ممن يأتي بعدهم، وحياتهم هي في حقيقتها حجة من الله عز وجل على من حاد عن النهج المستقيم، تدعوهم للسير على خطاهم، وتقول لهم هؤلاء قد وصلوا فما عذركم.

ونحن في عصرنا هذا الذي يتعرض فيه المسلمون للغزو الفكري بسبب ما ابتلوا به من هزيمة نفسية بعد هزيمتهم العسكرية، وسبب ذلك كله هو ابتعاد المسلمين عن تعاليم دينهم التي هي

مصدر قوتهم وسر عزهم، ونتيجة ذلك أن نشأ جيل من أبناء المسلمين ليس لهم من الإسلام إلا الاسم، جيل تشرب أفكار أعدائه واستلذها.

(2/1)

ولقد كانت هجمة الأعداء على المرأة شرسة خطيرة هدف من خلالها إلى تشكيكها في دينها، لعلمهم ما للمرأة من دور كبير في بناء المجتمع المسلم، وظهرت آثار ذلك في انحرافات عقدية وسلوكية لدى المرأة المسلمة، فوجدت في نساء المسلمين –إن عُدت بعد ذلك منهن– من ترى في تشريعات الإسلام إجحافاً بكرامة المرأة،وهضماً لمكانتها. وسرت فتنة هؤلاء الأعداء إلى كثير منهن فانقلبت لديهن الموازين، فأصبح من بنات المسلمين من ترى في الممثلة الفاجرة والمغنية الفاسقة قدوة وأسوة جديرة بالاحترام والتبجيل بل والتقليد الأعمى، وأضحى جل اهتمامهن تتبع أخبار أولئك الساقطات، وظن كثير منهن أن تاريخ المرأة في الإسلام انقضى بانقضاء عصر الصحابة والتابعين.

(3/1)

لهذا كله، ورغبةً في الخير، ودعوةً إليه، وعملاً بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم " إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له " (2) عزمت على تتبع سير الصالحات من أتباع أهل الحق والاستقامة وتقديمها لأخواتي المؤمنات ولكافة المسلمين، ذلك أن كتباً كثيرة تكفلت بذكر الصحابيات رضوان الله عليهن وتعداد مناقبهن، وكذلك كُتب الكثير عن نساء الأمة من مختلف فرقها ومذاهبها، غير أنني لم أجد من أفرد النساء الإباضيات بالتأليف، فأقدمت على هذا الأمر على قلة علمي، وقصر اطلاعي، وعلى علمي بما يكتنفه من صعوبات بالغة بسبب ندرة المصادر وشحها، ذلك أنَّ تاريخ أهل الحق والإستقامة أغلبه غير مدون، وما دُوّنَ منه فُقِدَ أكثره بسبب ما تعرضوا له وتراثهم الفكري من مصادرة وإبادة على مر العصور من قبل أهل الجور والعسف، وإذا كان أولئك الأبطال منهم – الذين أقاموا دول العدل والهدى، وفتحوا الممالك، وعمروا الأرض بالعمل بكتاب الله عزوجل وسنة نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام ردحاً من الزمن –لم يصلنا من تاريخهم المجيد إلا النزر اليسير، فكيف بنسائهم الطاهرات اللاتي هن ربات الخدور، وقواعد البيوت، ولكن عسى الله تعالى أن يجعل فيما تبقى وما ظهر من مآثرهم ذكرى لمن كان

له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، ونسأل الله عز وجل أن يظهر في المستقبل من تراثهم ما هو مخفي الآن ليشرق المزيد من أنوار تاريخهم العطر المجيد وما ذلك على الله بعزيز.

وصدَّرت البحث ببيان موجز لمكانة المرأة ودورها في الإسلام مع ذكر بعض النماذج باختصار، ثم أخذت في تتبع سير الصالحات من نساء أهل الحق والإستقامة من عصر التابعين إلى عصرنا حسب التسلسل التاريخي.

(4/1)

أسال الله عزوجل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به إنه سميع عليم، وهو حسبي ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(1) يوسف 111.

(2) رواه ابن ماجة في المقدمة 20 باب ثواب معلم الناس الخير 241، ورواه أبو داود في كتاب الوصايا 14.

تمهيد

(5/1)

شاءت إرادة خالق هذا الكون ومدبرة جل وعلا أن يجعل في الجنس البشري زوجين اثنين كما هي سنته تعالى في سائر خلقه كما أخبر بذلك في قوله (ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون)– الذاريات:49–، وخص تعالى كلاً من الذكر والأنثى بخصائص، وجعل لكل منهما دوراً في الحياة مكملاً لدور الآخر، وساوى بينهما في المثوبة والعقوبة. وكما أكرم الله عز وجل الجنس البشري عموما فقد خصت رحمته الواسعة المرأة بمزيد التكريم فرفع جل شأنه مكانتها، وأعاد لها حقوقها، فنعمت المرأة في ظل دين الله الإسلام بالعدل والمساواة والمكانة الرفيعة بما لم تجده في أي شريعة أخرى, وفجّر الإسلام طاقاتها ونّمى مواهبها, فكان لها أثر الكبير في مسيرة الدعوة الإسلامية, فقد شاركت المرأة المسلمة في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم في نشر الدعوة بالقدر الذي خلقت له, وتهيأت بالفطرة لمزاولته لم تأخذ دور الرجل ولم يلغ هو دورها, بل قامت إلى جنبه تشد من أزره وتعينه على حمل رسالة الإسلام,

بل وكانت سبّاقة في هذا الميدان فكان أول من آمن بالرسول الكريم امرأة، وأول من قدم روحه في سبيل الله امرأة، والمرأة المسلمة عندما أرادت أن تخدم دينها أو تثبت مكانتها ودورها في الحياة لم تتعسف الطريق، ولم تتخذ من أعداء الله هداة، ولم تسر وراء دواعي الهوى والشيطان، بل كان كتاب الله عز وجل دليلها، وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام منهاجها، فقامت بواجباتها على أكمل وجه، فلم تتردد في بذل مالها وروحها وفلذات كبدها في سبيل نصرة دين الله، فسطّرت المرأة المسلمة تضحياتها بأحرف من نور في سجل الإسلام الخالد.

(6/1)

وليس يخفى على أحد دور الصحابيات رضوان الله عليهم ومواقفهن أكثر من أن نحيط بها في هذه العجالة، وأسماؤهن أشهر من نار على علم، وعلى خطى أولئك الطاهرات سارت نساء الإباضية، فمنذ إشراقة دعوة أهل الحق والاستقامة والمرأة الإباضية مضطلعة بدورها الريادي، ولا عجب في ذلك فالمذهب الإباضي إنما هو في حقيقته جوهر الإسلام ولبه، وصورته الصافية الناصعة، وعلى الرغم من شحة المصادر لا يزال التاريخ يذكر نماذج مشرفة لنساء أهل الاستقامة في كل المجالات، وقد كان لوعي أئمة أهل الحق والاستقامة من البداية لدور المرأة أثر كبير على مسيرة الدعوة ونموها فيما بعد.

فقد أسهمت المرأة الإباضية في النضال المجيد والجهاد الحق لإحياء الإمامة الإسلامية العادلة بعدما استولى بنو أمية على مقاليد الحكم في العالم الإسلامي وحولوه من خلافة راشدة تتم برضى المسلمين واختيارهم إلى ملك عضوض جائر لا يراعي للأمة مصلحة، ولا يقيم لها قدراً، فحاول أهل الحق والاستقامة إعادة الأمور إلى ما كانت عليه قبل ذلك، فشاركت المرأة الرجل في جهاده السياسي فكانت تلهب حماسه، وتقوي عزيمته، وتقوم بدورها في المعركة السياسية بكل ما استطاعت من أعمال، فكان منهن من يتخذن من بيوتهن التي لا يتطرق إليها الشك، ولا يلاحظها جواسيس السلطة، مقراً للعلماء وطلبة العلم من أهل الدعوة يعقدون فيها الاجتماعات، ويختبئون فيها من السلطات الجائرة التي تفتش عنهم في كل مكان، ويخبئون فيها الأسلحة والأموال التي يجمعونها للثورات التي تنشب على ذلك الظلم وتلك السلطة الغاشمة.

(7/1)

روي أن أصحاب أبي عبيدة كانوا في يوم مجتمعين للمشورة في منزل امرأة عجوز من النساء العاملات في هذا المجال فباغتتهم الشرطة العباسية فخرجوا ولم يتمكنوا من لبس نعالهم، ووجدت الشرطة تلك النعال فسألوا العجوز: (ما بال هذه النعال؟)، فقالت لهم: (عندنا مكاتب، وهذه المكاتب يجمع ما يعطى من قبل الناس، وقد تبرع له بعض الناس بهذه النعال)، فقالوا: (بالله ما ذلك الذي ما ذكرته فإن هذا موضع ريب)، وقال بعضهم: (قد ذكرت العجوز ما ذكرت فلا تعرضوها للبلاء فلعلها تكون صادقة). فلولا سرعة بديهة هذه العجوز وحسن تصرفها لتعرضت لصنوف الأذى، ومن الأسماء التي حفظها التاريخ سعيدة المهلبية ودورها في الجهاد والتضحية من أجل أهل الدعوة، حيث لم يمنعها زوجها من الثبات على مبدئها والوقوف مع أهل دعوتها، فكان بمنزلها سرداب يأوي العلماء وطلاب العلم، وبرغم التخفي والسرية لم تسلم المرأة الإباضية من جور بني أمية– كما لم يسلم منها كل من رفع لواء الحق ودعا إلى الإصلاح– فتعرضت المرأة لأقسى ما يمكن تصوره من صنوف العذاب والأذى، فكان زياد بن أبيه وابنه إذا ظفر بامرأة منهن يعريّها ويصلبها ويقتلها، كما فعل بالبلجاء رضي الله عنها، فكانت من نتيجة ذلك الأسلوب الوحشي في معاملة المصلحين أن امتنعت النساء عن الدعوة العلنية، حتى صرن إذا دعين للاشتراك في ثورة أو تمرد ضد تلك السلطة الظالمة يرددن جميعا (لولا التعرية لسارعنا). ولمن المرأة لم تمتنع من المشاركة في الدعوة سراً وبعيداً عن أنظار أصحاب السلطة.

ولم تتوقف تضحيات المرأة المسلمة عند حد معين فما كانت تتردد لحظة عن خوض غمار المعركة، شاهرة السيف في وجه أعداء الله حينما يتطلب الموقف منها ذلك، كما فعلت مريم زوج أبي حمزة الشاري– رضي الله عنهما– حين قاتلت إلى جنب زوجها قتال الأبطال حتى استشهدت بجانبه، وهي ترتجز وتقول:

... ... أنا الجعيداء وبنت الأعلم

من سأل عن اسمي فاسمي مريم ... ... بعت سِواري بسيف مُخذَم

ونحن تأخذنا الدهشة والعجب حين نقرأ عن مثل هذه الشجاعة وتلك التضحية، ولكن لا عجب مما يفعله الإيمان حينما تخالط بشاشته شغاف القلوب فليس يخفى شجاعة الصحابيات وثباتهن في ميدان المعركة حين يكون الموقف عصيباً محتاجاً لتضحية المرأة، وما

جهاد نسيبة بنت كعب عنا ببعيد.

وأينما وجدت المرأة الإباضية كان لها بصمتها الواضحة في الأحداث، ففي الجزائر وأثناء مقاومة الاحتلال الفرنسي البغيض، كان للمرأة الإباضية دورها في الجهاد والمقاومة، ينقل علي يحيى معمر عن إبراهيم قرادي قوله (إن الجماعات الدينية للنساء نظمت مؤتمراً تحت رئاسة رئيسة الجماعة الدينية النسائية مامة بنت سليمان بغرداية، وقررن إصدار أوامر بمقاطعة كل ما يتصل بالفرنسيين من لباس ومواد وغيرها). وكان هذا الموقف المشرف من هذه المرأة المؤمنة من المواقف التي رفعتها إلى مصاف زعيمات النساء المسلمات في العصر الحديث، فقد اعتبرها صاحب (ثورات النساء في الإسلام) واحدة من اثنتي عشرة امرأة اشتهرن بمواقف بطولية في العالم.

على أن هذا الوعي السياسي لم يكن مقتصراً على وقت دون آخر بل كان ذلك منذ القديم حيث يروى عن الجاحظ قوله: (إن الناس كانوا يتمنون أن تكون زوجاتهم إباضيات) وما ذلك إلا لوعيها ولإدراكها الحقيقي لمجريات الأمور.

(9/1)

ولم يكن الجهاد في يوم من الأيام مقتصراً على بذل الأرواح، بل كان يسبق ذلك الجهاد بالمال، ولم تكن نساء الإباضية أموالهن بأغلى عليهن من أرواحهن، فقد كن كثيرات البذل والإنفاق بما يملكن من حلي وأموال فكن خير نصير لدعوتهن، فقد كانت النساء الإباضيات في العراق في عهد أبي عبيدة يتبرعن بأموالهن وحليهن التي كان يجمعها للدولة الرستمية وللثورات الإباضية الناشئة. وكثير منهن وقّفن الأموال لنشر العلم، وعمارة بيوت الله عز وجل ومصالح المسلمين المختلفة، كمثل ما فعلت عائشة العبرية، وثريا البوسعيدية، وشمسة الخليلية وغيرهن، قدوتهن في ذلك نساء المهاجرين والأنصار، روى الإمام البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه قال: (خرج النبي صلى الله عليه وسلم يوم عيد، فصلى ركعتين لم يصل قبل ولا بعد، ثم أتى النساء فأمرهن بالصدقة، فجعلت المرأة تصدق بخرصها وسخابها)، وفي رواية للبخاري أيضا: (فأتى النساء فأمرهن بالصدقة، فجعلن يلقين الفتخ والخواتيم في ثوب بلال).

(10/1)

وكثيرا ما شاركت المرأة المسلمة الرجل برأيها الصائب وفكرها المستنير في مواقف هامة عديدة، وهو حق كفله الإسلام حين أعطاها حرية إبداء الرأي، وتقديم المشورة، فكان منهن من نفعت بحسن رأيها المسلمين ولعل أبرز مثال نذكره هنا هو ذلك الرأي السديد لأم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها، عندما أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه بنحر الإبل بعدما فرغ من عقد الحديبية مع وفد قريش فلم يستجيبوا له، فدخل عليه الصلاة والسلام حزيناً إليها، وأخبرها بإعراض الصحابة عن أمره فقال رضي الله عنها: (يا رسول الله أتحب ذلك، اخرج فلا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بدنتك، وتدعو حالقك فيحلقك)، فأعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم برأيها وسارع إلى تنفيذه، فلما رأى الناس ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما، وما أقرب هذه الحادثة بما حدث في عهد الدولة الرستمية بالمغرب الكبير فقد كان للجدة (نانامارن) موقفها الذي سجله لها التاريخ، فعندما اجتمع علماء الفكر والدين لعقد مجلس لتعيين والٍ لجبل نفوسة لم يتفقوا على رأي حتى عُرضت قضيتهم على هذه المرأة الصالحة فكان في رأيها الخير والصلاح.

(11/1)

وإذا جئنا إلى العلم وطلبه فمما لا يخفى على أحد تشريعات الإسلام الحاضة على طلب العلم وتكريمه للعلماء, وهذا ليس مقتصرا على جنس دون آخر بل كلا الجنسين مأموران بطلب العلم, ولسنا الآن في محل سرد تلك النصوص من القرآن الكريم والسنة النبوية الدالة على ذلك فهي أكثر من أن نحيط بها, والتي بعثت همة المرآة المسلمة لطلب العلم والاستزادة منه فنبغت الكثير من النساء, وبلغ بعضهن إلى درجة أن يفتخر العلماء بالتتلمذ على أيديهن كمثل المنزلة الرفيعة من العلم التي وصلت إليها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وغيرها من النساء, وقد ترجم ابن حجر في كتابه " الإصابة في تمييز الصحابة " لثلاث وأربعين وخمسمائة وألف من المحدثات وشهد لهن بالعلم ووثقهن, و"ابن سعد " في طبقاته يحدث عن سبعمائة امرأة روت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم, أو عن بعض أصحابه.

ومنذ بزوغ مذهب أهل الاستقامة بالبصرة اهتم إماما المذهب جابر بن زيد, وتلميذه أبو عبيدة بالمرأة اهتماما كبيرا, وذلك من خلال مجالس العلم التي تعقد على هيئة دروس لتعليم المرأة القرآن الكريم, وأصول الفقه والعقيدة الصحيحة, وكانت هناك دروس أخرى فكرية في أمور دينها, وكانت الواحدة منهن تنتهز كل فرصة للتعلم والتفقه في أمور دينها, لتعبد الله على بصيرة, فهذه عاتكة بنت أبي صفرة تنتهز زيارة الإمام جابر بن زيد لها فتسأله في عدة مسائل

فقهية لا تعرف حكمها, وفي عهد الدولة الرستمية شاركت المرأة الإباضية في ازدهار الحركة العلمية, ومما ساعدها على ذلك, اهتمام الأئمة الرستميين بالعلم كأمثال الإمام عبد الوهاب الذي كان محبا للعلم تواقا إلى المعرفة, وابنه الإمام أفلح الذي كان عالما متضلعا في علوم الشريعة وغيرها كالحساب والفلك بالإضافة إلى كونه محبا للأدب بارعا في نظم الشعر.

ومن شعره:

العلم أبقى لأهل العلم آثارا يريك أشخاصهم روحا وأبكارا

حيٌ وإن مات ذو علمٍ وذو ورعٍ ... ما مات عبد قضى من ذاك أوطارا

وذو حياةٍ على جهلٍ ومنقصةٍ كمَيّتٍ قد ثوى في الرمسِ أعصارا

وكان في كل مسجد من مساجد الدولة الرستمية قسم خاص للنساء, يفصله عن قسم الرجال جدار مخرم يستر النساء, ولا يحجب عنهن صوت المدرس, وتلاوة الإمام, وكن يتقاطرن في وقت الصلاة إلى أقرب مسجد إليهن فيصلين مع الجماعة, ويحضرن الدروس بين الصلوات, في التفسير والحديث وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين وسير الصالحين من أهل الاستقامة وتاريخهم, والأخلاق وعلاج الأمراض الاجتماعية, حتى صقلت هذه الدروس المرأة الإباضية فأصبحت صالحة واعية متعلمة يسيطر عليها دينها وعقلها لا غرائزها وأهواها, وغدت مثالا للمرأة المؤمنة في جميع نواحي حياتها فهي تعمل بدين الله كأحسن ما تعمل المؤمنة, وتطلب العلم كأحسن ما يطلب العلم, وتشترك في مجالس العلم وندوات الاجتماع بأوفر نصيب وتسأل المشايخ وتستجيب لنقاش الطلبة, وهي مع ذلك محافظة على سترها ولباسها, ولم يمنعها إسلامها وحجابها من أن تصل إلى أرقى درجات العلم حتى صار منهن العالمات والفقيهات, وكأن لسان كل واحدة منهن تنشد قول عائشة التيمورية:

بيدِ العفافِ أصون عزَ حجابي ... وبعصمتي أسمو على أترابي

وبفكرةٍ وقادةٍ وقريحةٍ نقادةٍ ... قد كملت آدابي

ما ضرني أدبي وحسن تعلمي ... إلا بكوني زهرة الألباب

ماسآني قدري وعقد عصابتي ... وطراز ثوبي واعتزاز رحابي

ما عاقني خجلي عن العليا ولا ... ولا سدل الخمار بلمتي ونقابي

عن طي مضمار الرهان إذا اشتكت ... ... صعب السباق مطامح الركاب

ومن الأمثلة الجديرة بالذكر أم ماطوس التي أحبت استكمال دراستها رغم تعنت أهلها, والعالمة أم يحيى التي اهتمت بقضية تعليم المرأة, فأنشأت مدرسة خاصة بالبنات وقسما داخليا لسكنى البعيدات منهن , وأخت الإمام أفلح التي برعت في علم الحساب والفلك والتنجيم , ونحن نجزم بأن الأسماء التي حفظها التاريخ لنا ما هي إلا غيض من فيض , وقطرة من بحر.

(14/1)

وفي وادي ميزاب بالجزائر مجلس ديني من النساء العالمات الصالحات الورعات يختارهن العزابة بدون تحيز ولا تعصب من العشائر، ويراعون أن تكون من كل عشيرة واحدة، وإذا لم يجدوا في عشيرة من توفرت فيها الشروط اختاروا من عشيرة أخرى، ومما يذكر التاريخ الإباضي أنه وجد في وادي ميزاب في عصر واحد ثلاث نسوة وصلن إلى مرتبة عالية في العلم يطلق على كل واحدة منهن لقب مامة وهن مامة بنت سليمان في غرداية، ومامة بنت عبد العزيز في مليكة العليا، ومامة بنت عبد الله في بني يزقن، حيث كانت كل واحدة منهن رئيسة حلقة المرشدات في بلدها، وقد جمعهن التدبير الإلهي لتنظيم اجتماعات للتشاور في القضايا المشتركة بين النساء لإصدار التعليمات التي تنفذ في كل القرى الميزابية، وتعقد هذه الاجتماعات بشكل منتظم في مؤتمر "لا إله إلا الله" وهو عبارة عن تجمع سنوي متنقل تعقده حلقات تمهيدية في مسجد الشيخ باعبد الرحمن الكرثي للاتفاق على تاريخ البداية..

(15/1)

ثم غرداية ثم بنورة ثم بني يزقن ثم العطف بوادي ميزاب أما القرارة وبريان فهما ينسقان لقاءاتهما معاً لبعد المسافة، وفي هذه الاجتماعات تلتقي مرشدات وادي ميزاب بالعنصر النسوي في البلدة المضيفة في دار المرشدات التابعة للمسجد أو مكان الجامع، فتستهل أشغالها بتكرار كلمة الشهادة "لا إله إلا الله" ألف مرة ثم تلاوة سورة يس وتبارك الملك وسورة الخاتمة ثم تتقدم كبيرة المرشدات لكل بلدة بكلمة وعظ وتذكير وإرشاد أمام الحاضرات، وفيه تتدبر المرشدات في الحالة التي آلت إليها النساء في المجتمع ويقررن فيه الدواء الناجع لمختلف الأمراض التي حدثت خلال السنة، ويبلغن قراراتهن وتوصيات المؤتمر لمجلس العزابة للإشعار والرعاية، وهذا المؤتمر العريق الذي لا ندري بالضبط متى بدأ في التاريخ يعتبر

منتدى حرا لإصلاح شؤون المرأة المسلمة في ميزاب، وتوحيد وجهات نظرهن في بعض القضايا المصيرية المشتركة، وتجديد العزم لمواصلة المسيرة، وللتواصل بين الأجيال المتعاقبة، ولتبادل التجارب والخبرات في قضايا النساء، والمجلس الديني للنساء (حلقة المرشدات) يعين مجلس العزابة في تثقيف المرأة الميزابية وتربيتها تربية دينية صحيحة، ولهذا المجلس وظائف عديدة منها:

1- نشر وغرس العقيدة الدينية والفضيلة الأخلاقية من خلال حلقات الدروس الدينية والوعظ.

2- محاربة الآفات الاجتماعية والبدع الفاسدة المتناقضة مع شريعتنا الإسلامية.

3- الإشراف على حفلات الأعراس والمناسبات الدينية والاجتماعية لكي لا يكون هناك إسراف أو أغاني ماجنة ومن يتعد على ذلك يحكم عليه بالبراءة.

4- الإشراف على غسل الأموات من النساء والأولاد الصغار.

وإذا تردت امرأة من وادي ميزاب في المعصية ولم تُجدِ فيها الموعظة يتبرأ منها المجلس الديني النسوي في مسجد النساء، ويتبرأ منها أقاربها فتسرع إلى التوبة.

(16/1)

وإن المرأة الميزابية بفضل التربية الدينية التي تكون لها من والديها وأسرتها والمجتمع وهذا المجلس الديني الذي يتعهد النساء، وينفخ فيها الروح الدينية الصحيحة والمبادئ الإسلامية السمحة، متمسكة بدينها كل التمسك تخاف الله وتراقبه في أعمالها ولا ترضى أن يخالف الدين أمامها، إنها أخلاق المرأة الإباضية.

(17/1)

وأما عن المرأة الإباضية في عمان فقد كان المؤسس الأول للمذهب الإمام جابر بن زيد عماني الأصل، وكانت زوجته آمنة وابنته الشعثاء تتلقيان منه الدروس النظرية والعملية من خلال حياتهما معه، حتى غدت الشعثاء والتي استقرت فيما بعد في نزوى مرجعاً للنساء فيما يهمهن من أمور دينهن، ولا ننسى بأن بعض النساء الإباضيات العمانيات برزن في تحفيظ القرآن الكريم للناشئة كأمثال سالمة بنت سويف، وشيخة بنت علي بن عامر بل لا تكاد تخلو قرية إلا وفيها معلم أو معلمة للقرآن الكريم، وكم يكون حظ الفتاة عظيماً إذا ما كان والدها أو أحد

أرحامها عالماً أو فقيهاً فتتلقى العلم على يديه وتناله بيسر وسهولة كمثل ماهلة وسالمة الأختان اللتان أخذتا العلم عن والدهما الشيخ عامر بن سلطان الحجري، ولا ننسى العالم الجليل حميد بن علي من أهل بدية الذي كان يخصص جزءاً من وقته لتعليم النساء ما يهمهن من أمور دينهن مع أختيه سالمة وفاطمة المجتهدتين في حفظ القرآن وتحصيل العلم، ولقد برزت كثير من العالمات العمانيات الإباضيات كأمثال عائشة الريامية التي كانت تضرب إليها أكباد الإبل للفتوى، والعالمة عائشة العامرية، والأستاذة المربية ماهلة بنت عامر بن سلطان الحجرية وتلميذاتها راية بنت عامر بن سعيد وشمسة بنت علي العذوبية وغيرهن الكثير.

(18/1)

وحيثما حلّ الإباضية اهتموا بتعليم المرأة في البصرة وعمان وليبيا والجزائر بل تعداه إلى شرق إفريقيا هناك حيث (زنجبار)، فقد اهتم العلماء الإباضية بنشر العلم في المجتمع النسوي لما لها من دور بارز في المجتمع فأخذوا بيدها من دياجير الجهل والظلم وتستنير بنور الإسلام ومبادئه، فقد نشر في جريدة الفلق والتي كان يشرف عليها الأستاذ أحمد بن محمد اللمكي والشيخ سعيد بن سالم بن محمد الرواحي ما نصه: (فعلموا المرأة قبل كل شيء دين الإسلام دين الحياة والعفاف والأمانة والشجاعة وكل خلق كريم لتغرس ذلك في نفوس أبنائها لينشئوا على الفضيلة بعيدين عن كل خلق ذميم). ويذكر الجاحظ أن الإباضيات بصفة عامة بلغن من الاهتمام بالعلم والتقوى أنهن كن يؤخذن بحفظ سورة النور، لما فيها من أحكام تتصل بشؤون المرأة المختلفة، كالآداب الخاصة بالستر وغض البصر وحفظ الفرج والآداب العامة المتعلقة بالأسرة والمجتمع.

أما في مجال الأسرة فيقول الله تعالى: (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة) – الروم: 21–

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة).

(19/1)

إن الزواج مرحلة مباركة في عمر المرأة، وغاية المرأة العاقلة أن تكون زوجة صالحة وأمًا لا يمحو في نفسها الميل إليهما والرغبة فيهما، ولا يشغلها عن ذلك شيء ولو حازت المال والمجد والشهرة وبلغت في العلم أعلى مرتبة ما أغناها كل ذلك عن الزواج والأمومة، كيف

وهي إنما خلقت لحمل النشء ورعايته وتربيته، ولنا في الصحابيات رضي الله عنهن القدوة والأسوة الحسنة، فلم نسمع ونقرأ أن واحدة منهن تركت الزواج بدعوى التفرغ لطلب العلم أو غير ذلك، بل لم تكن إحداهن ترى تعارضاً بينهما، ولم يعرف ذلك المجتمع الطاهر آفة اسمها العنوسة ولا تأخر سن الزواج، بل كان تكوين الأسرة الصالحة نوع من الجهاد تخوضه المرأة المسلمة لإنشاء جيل مسلم مجاهد يحمل راية الإسلام ويرفع كلمة التوحيد، فالمرأة عماد الأسرة في التربية والتوجيه، وعماد الأمة في النصيحة لله ولرسوله، وهي ظهير الرجل في كفاحه من أجل دينه ووطنه، إن استشارها نصحته، وإن رجع إليها من عنت العمل ومشاق الكفاح غمرته بالمحبة والحنان ووطأت له كنف المنزل فوجد الراحة لنفسه ولبدنه ولقلبه، تقوم على شئون البيت قيام العارفة، وتتصرف في مال زوجها تصرف المخلصة الأمينة، ويكفي المرأة المسلمة فخراً وعزةً أن أول قلب خفق بالإسلام وتألق بنوره بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قلب امرأة فاضلة وهي خديجة بنت خويلد رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم، فقد عاشت رضي الله عنها معه عليه الصلاة والسلام ربع قرن من الزمن كانت خلالها مثالا صادقا للزوجة الوفية المطيعة أحسنت عشرة زوجها وأعانته على خلوته قبل البعثة عليه السلام وثبتته وصدقته وسبقت الناس إلى الإيمان برسالته وأحسنت إليه ساعة شدته وآزرته في أحرج أوقاته ويكفيها قول رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها: (آمنت بي حين كفر بي الناس وصدقتني حين كذبني الناس وأشركتني في مالها حين حرمني الناس ورزقني الله منها الولد دون غيرها من النساء)،

(20/1)

ويذكر التاريخ الإسلامي عدداً من الصحابيات اللاتي كن مثالاً للصبر والإحسان والإخلاص في خدمة أزواجهن وبيوتهن على ما كانوا فيه من قلة ذات اليد وضنك العيش فهذه الزهراء– رضي الله عنها– ابنة الرسول عليه الصلاة والسلام زوج الإمام علي بن أبي طالب– كرم الله وجهه– تشكو ما تلقى في يدها من الرحى لزوجها، فيذهب إلى الرسول الكريم يسأله خادماً لها، فيأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ابنته وزوجها فقال: (ألا أعلمكما خيراً مما سألتماني؟ إذا أخذتما مضاجعكما فسبحا ثلاثا وثلاثين، واحمدا ثلاثا وثلاثين، وكبرا أربعا وثلاثين، فهو خير لكما من خادم)، وهذه أسماء بنت أبي بكر الصديق تقوم بخدمة زوجها الزبير بن العوام والقيام بأعمال منزلها وكان لزوجها فرس، تسوسه وتحتش له وتعلفه وتخرز الدلو، وتعجن وتنقل النوى على رأسها من مكان بعيد.

وعلى هذا النهج سارت نساء أهل الدعوة فقد ضربت المرأة الإباضية المثل في السعي لسعادة أسرتها وزوجها، فكان الزوج يحظى في ظلها سعادةً وهناءً ويفيض الدار بها أنساً وحباً وتفتح بيمينها واستقامتها وإخلاصها وحبها للزوج والأسرة أبواب البركات والخيرات، وما تدرسه هذه الزوجة في المسجد تجسده واقعا حياً في حياتها وسلوكها سواء في بيتها أو في مجتمعها.
وبذلت المرأة الإباضية وقتها وجهدها من أجل توفير الجو العائلي السعيد للزوج، وكانت مثالا لكل امرأة مؤمنة في إعانة الزوج على أمور الدنيا والآخرة كمثل ما فعلت زوجة المهدي، وأم جلدين، وأم زورغ الأرجانية، وأم زعرور، وأم يحيى، وبهلولة وغيرهن الكثير.

(21/1)

وأما في مجال الأمومة– وهي وظيفة المرأة التي خلقها الله عز وجل من أجلها– فقد كانت المرأة المسلمة فيضاً عامراً بالحب والعطف، ومثالا للحنان والإيثار والبذل والتضحية والصبر والفداء، أدركت بهدي دينها مسؤوليتها في تربية أولادها التربية الإسلامية الصحيحة، وتنشئتهم التنشئة الصالحة القائمة على مكارم الأخلاق، فإن الأطفال هم رجال المستقبل ومعقد الآمال وهم غد الأمة المنتظر، وهذا كله يتطلب حسن تربيتهم وسلامة إعدادهم للحياة، بحيث يكونون عناصر بناءة فعالة يعود خيرهم على آبائهم وأمهاتهم وعلى مجتمعهم، وفعلاً لا تكاد ترى عظيماً من عظماء أمتنا ممن عاركوا خطوب الدهر وطأطأت لرجولتهم نواصي الحادثات إلا هو مدين بذلك إلى أمة العظيمة، وفي تاريخنا من نوابه النساء كثيرات، أودعن في أبنائهن سر النبوغ وأصّلن فيهم خليقة العظمة، وكن وراءهم في كل ما أثّلوه من أمجاد وما بلغوه من مكارم، وما حققوه من أعمال عظيمة.
وصدق الشاعر إذ يقول:

... ... هي الأم شيء يعادلها عندي ... ... ولم أر في الدنيا سوى برها يجدي
... ... لها المنزل الأعلى بغير منازع ... ... لها الحب والإخلاص والصدق في العهد
... ... إذا مسني الضر ارتمت نتهالك ... ... حواليّ واستغنت عن النوم بالسهد
... ... على خدها تجري الدموع سخينة ... ... كسيل تلاقى بين منخفض وهد
... ... يكلمني همسا وترنو كما رنت ... ... إلى خشفها أدماء في مهمة جرد
... ... ذوى عشبة والماء غار وضرعها ... ... يجف وقد أضنتهما شدة الجهد
... ... إلى أن نما عودي وأمست تشق لي ... ... طريق الهدى كي لا أحيد عن الرشد
... ... تخلصت من جهلي بفضل جهودها ... ... وما حال يوما عن نصائحها قصدي

... ... تعلمني ما لست من قبل عالما ... ... به وتريني مسلك الخير والسعد
... ... فإياك إياك العقوق ولا تقل ... ... لها (أف) أو تغتابها بسوى الحمد
... ... وإياك أيذاها فلولا وجودها ... ... وحق رضاها لم يكن لك من وجد
... ... ولا تنس أن تدعو لها كل ساعة ... ... لتحفظ هذا البر في ولد الولد

** ** **

الفصل الأول
(2هـ – 150هـ)

* آمنة زوج الإمام جابر بن زيد.

(22/1)

---

* الشعثاء بنت الإمام جابر بن زيد
* عاتكة بنت أبي صفرة
* هند بنت المهلب
* البلجاء الخزامية
* عبيدة بنت مسلم بن أبي كريمة
* سعيدة المهلبية

آمنة زوج الإمام جابر بن زيد
هي دعوة الإمام التابعي الشهير جابر بن زيد، ذلك أن الإمام جابر قال: (سألت ربي ثلاثاً فأعطانيهن، سألت زوجة مؤمنة، وراحلة صالحة، ورزقا حلالاً كفافا يوماً بيوم) فكانت دعوة مستجابة، وكانت اختيار الله عز وجل له هذه المرأة فالطيبات للطيبين.

(23/1)

عاشت آمنة في كنف الإمام ترتوي من معين علمه الدفاق، كيف لا وهو الذي شهد له أكابر علماء عصره بسبق العلم، فقال عنه الصحابي الجليل ابن عباس: (اسألوا جابر بن زيد فلو سأله أهل المشرق والمغرب لوسعهم علمه) وقال عنه الصحابي الجليل أنس بن مالك عندما بلغه موته: (مات أعلم من على ظهر الأرض) وإذا كان الالتحاق بطبقة التابعين شرفاً عظيماً، تلك الطبقة التي وإن فاتها شرف الالتقاء بخير خلق الله نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لم يفتها شرف الالتقاء بصحابته صلى الله عليه وسلم، فقد نالت آمنة ذلك الشرف ودخلت في هذه الفئة بل وكانت تستشير وتتلمذ على يد أوسعهم علماً وفضلاً البحر عبد الله بن عباس، تروي السير أن آمنة اكتوت لعلة أصابتها، فغضب عليها الإمام جابر بن زيد وهجرها؛ فشكته لأستاذه عبد الله بن العباس رضي الله عنه؛ فطلب منه شيخه علة الغضب والهجران، فقال جابر: (إنها لم تتوكل على الله) وتلا قوله تعالى: (ومن يتوكل على الله فهو حسبه). فقد أراد الإمام جابر أن يختار لزوجته أعلى الدرجات فأراد لها الأخذ بالعزائم وأن تعتقد أن الشافي هو الله تعالى وأن تتوكل عليه غاية التوكل وأن تتخلى عن الدواء، ولكن الزوجة كان لها رأي آخر، وهو أن تأتي بالأسباب المشروعة للعلاج، ومع ذلك تتوكل على الله فهو الشافي وتأخذ بالرخصة، استنادا إلى قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يكره أن تؤتى معصية)، وكان موقف ابن عباس مؤيداً لموقفها واحتج لرأيه بأن طلب من الإمام جابر أن يتم الآية: (إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا) –الطلاق:3–.

(24/1)

وكما أنها كانت تتلقى العلوم النظرية منه، فقد كان في سلوكه معها أعظم موجه ومعلم؛ فقد خرجت آمنة ذات مرة إلى الحج ولم يخرج معها تلك السنة، فلما رجعت سألها عن كريها، فذكرت سوء الصحبة ولم تثن عليه بخير، فخرج إليه جابر وأدخله داراً، واشترى لإبله علفا وعولج له طعام، واشترى له ثوين كساه بهما، ودفع له ما كان مع آمنة من قربة وأداة وغير ذلك، فقالت آمنة لزوجها جابر: (أخبرتك بسوء الصحبة ففعلت ما أرى) فقال لها: (أفنكافئه بمثل فعله فنكون مثله، لا بل نكافيه بالإساءة إحساناً وبالسوء خيراً) وفي هذا درس بالغ لها بدفع الإساءة بالإحسان تحقيقاً لقول الله عز وجل: (ادفع بالتي هي أحسن السيئة) – المؤمنون:96–.

** ** **

الشعثاء بنت الإمام جابر

هذه سيدة أخرى نشأت في ذلك البيت المبارك بيت الإمام التابعي جابر بن زيد رضي الله عنه، وهي أيضا من طبقة التابعين، وقد اشتهرت بلقبها الشعثاء حتى نسي اسمها فما عاد يعرف لها اسم غيره، وهي ابنة الإمام جابر، وإنما سميت بالشعثاء لشعوثة رأسها وكني أبوها به فأبوها (أبو الشعثاء جابر بن زيد) ، وقد كانت تسأل أباها دهناً تلين به شعرها، ويعتذر لها بقلة ما في يده، وأن ما عنده من الدهن أولى أن يستعمله للسراج ويقول لها: (استعملي الماء الساخن بدل الدهن)، وروي أن جابر بن زيد سرج سبعين دبة حل؛ فطلبته ابنته شيئا يسيرا لرأسها، وقالت له: (إن رأسي شعث من قلة الحل)، فقال لها: (عليك بالماء فما تأخذينه أنت يكفي مسألة نؤلفها فينتفع بها المسلمون).

لم يأت في المصادر ذكر مكان ولادتها ونشأتها، ولكن أغلب الظن أنها ولدت ونشأت في البصرة، ذلك لأن الإمام جابر إنما قضى أكثر عمره في البصرة، أو متنقلاً بين مكة والمدينة، ورجع إلى عمان عندما نفاه الحجاج بن يوسف الثقفي، ثم ما لبث أن عاد فتوفي بها ولعل أسرته استقرت في عمان.

(25/1)

وهل هي ابنة آمنة أشهر أزواج الإمام أم أن لها أماً غيرها؟، كل ذلك ما لا يمكن معرفته ولا يوجد دليل عليه، لكن يكفي أن نعلم أنها أخذت العلم من ذلك المعين الصافي وارتوت منه ثم قامت بدورها في تبليغ العلم ونشره، حيث كانت مقصد النساء فيما يهمهن في أمور دينهن وخاصة في مجال الفتوى والشورى، وعاشت حياة الصالحات المؤمنات حتى لقيت ربها راضية مرضية، وقبرها معروف إلى اليوم في فرق من أعمال نزوى بعمان.

** ** **

عاتكة بنت أبي صفرة

نشأت هذه الفاضلة الكريمة وترعرعت في بيت شرف وعظمة، فقد عاشت في بيئة عربية إسلامية في آخر القرن الأول الهجري وبداية القرن الثاني الهجري.

ولما ازدادت الكراهية بين الأزد والحجاج بن يوسف الثقفي بسبب جوره وتعسفه، انضم كثير

منهم إلى جماعة المسلمين (الإباضية) وعلى رأسهم أفراد من آل مهلب، وكان منهم عاتكة بنت أبي صفرة وهي من عائلة المهلب بن أبي صفرة القائد الشهير ولعلها أخته.

كانت عاتكة من أشد الناس حماساً للمذهب تنفق مالها في سبيل نشر مبادئ أهل الدعوة وللمحتاجين منهم، لم يكن إنفاقها طلباً للدنيا الفانية أو متاعها الزائل بل كان ابتغاء الثواب من الله تعالى يوم القيامة، قال أبو سفيان محبوب بن الرحيل: (أرسلت عاتكة بجزورٍ إلى جابر فأمر رجلاً أن ينحرها ويجزئها بين الجيران، فأكثر جزء جابر فقال له جابر: (أجميع جيراننا أخذ مثل هذا) قال له الرجل: ((لا))، فقال له جابر: (ساو بيننا وبين جيراننا)، ونهاه عن عدم التسوية.

(26/1)

وقد علمت عاتكة أن علم الحلال والحرام والتفقه في أمور الدين من أهم ما يجب أن يحرص عليه المسلم، حتى يعبد الله على بصيرة من أمره فلا يقع في الشبهات فضلاً عن المحرمات، فكانت حريصة على اقتناص الفوائد تسأل العلماء في كل ما يشكل عليها من أمر دينها ودنياها، فعن أبي سفيان محبوب بن الرحيل قال: (دخل أبو نوح صالح الدهان على عاتكة بنت أبي صفرة فوجدها في البيت، فقال: (كأني أرى مجلس رجل) قالت: (نعم، الآن خرج من عندي الإمام جابر بن زيد) قال: (فهل ظفرت منه بشيء؟) قالت: (نعم سألته عن ثلاثة أشياء كن في نفسي:-

1- سألته عن لباس الخفين، قال إن كنت تلبسينها من حر الأرض وبردها وخشونتها فلا بأس فلا تبالين وإن انكشفا، وإن لبستهما لغير ذلك فلا تبديهما.

2- وسألته عن حلي عندي ليتيمة يقوم بمال، فيستعار مني، قال إن أعرته فإنك ضامنة.

3- وعن عبد كان من أنفس مال عندي، وأوثقت في نفسي أن أعتقه لوجه الله، ثم استخلفته على ضيعتي، قال أخرجيه ولا تدخليه في شيء من منافعك).

** ** **

هند بنت المهلب بن أبي صفرة

هذه المرأة ارتوت علومها الدينية من بحر العلم ومؤسس المذهب الأول الإمام جابر، وبذلت جهدها في ذلك، حتى أشرقن أنواره في قلبها فتجلى ذلك تقوى لله في سلوكها وخشيةً له وشكراً لفضله وآلائه، وفاضت ينابيع الحكمة من لسانها دررا، ولم تبخل بعلمها على بنات

جنسها فكانت لهن الأخت الداعية الناصحة.

وقد كانت معروفة بولائها للمذهب الإباضي مع أخيها عبد الملك بن المهلب بن أبي صفرة، وهند هذه هي التي تزوجها الحجاج بن يوسف الثقفي، وطلقها عندما ساءت علاقته بآل المهلب والإباضية.

روت عن جابر بن زيد فقالت: (إن جابر بن زيد كان أشد الناس انقطاعاً إليّ وإلى أمي، وكان لا يعلم شيئا يقربني إلى الله عز وجل إلا أمرني به، ولا شيئاً يباعدني عنه إلا نهاني عنه، وكان ليأمرني أين أضع الخمار من جبهة المرأة).

(27/1)

وروت أيضاً عن جابر بن زيد فقالت: (خرجنا من الطاعون فراراً إلى العراق وكان جابر بن زيد يأتينا على حمار فكان يقول: (ما أقربكم ممن أرادكم).

وروي عنها بعض الحكم المأثورة فمن ذلك قولها: (إذا رأيتم النعمة مستدبرة فبادروها بالشكر حلول الزوال).

وكانت تقول: (النساء ما زُيِّن بشيء كأدب بارع تحته لب طاهر).

وتشير الأخبار أن هنداً كانت ذات مال، وإنها بعثت إلى جابر بن زيد جزوراً في رمضان، فنحرها وعالج بها طعاما لأصحابه.

** ** **

البلجاء الخزامية

كانت البلجاء امرأة من بني يربوع عاشت بين البصرة والأهواز، ومن مجتهدات الإباضية على مذهب أبي بلال اشتهرت بالورع والزهد والنسك، وكانت تحرض على ابن زياد وتذكر تجبره وسوء سيرته، وكان زياد وابنه قد اتبعا أسلوباً قاسياً مرعباً تجاه من يدعو إلى الحق والعدل شأنه في ذلك شأن عمال بني أمية الظالمين.

(28/1)

ومما جاء عن البلجاء الخزامية أن غيلان بن خرشة الضبي لقي أبا مرداس بن حدير، فقال له: (إني سمعت البارحة الأمير عبيد الله بن زياد يذكر البلجاء، وأحسبها ستؤخذ) فمضى إليها أبو بلال، فقال لها: (إن الله قد وسّع على المؤمنين في التقية فتغيبي واستتري؛ فإن هذا المسرف على نفسه الجبار العنيد قد ذكرك) فقالت: (إن يأخذني فهو أشقى بي، فأما أنا فأخشى أن يلقى أحد بسببي مكروها). فوجّه إليها عبيد الله بن زياد، فأوتي بها، فقال لها: (إنك حرورية محلوقة الرأس) فقالت له: (ما أنا كذلك) قال لأصحابه: (لأرينكم منها عجباً اكشفوا رأسها) فمنعتهم فقال: (لأكشفن أحسن بضعة منك) قال: (لقد سترته حيث لم تستره أمك) قال: (إيه، ما تشهدين علي؟) قالت: (شهد الله عليك ثلاث شهادات بقوله: (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) و (الظالمون) و (الفاسقون)، وشهدت على نفسك لأن أولك لزنية وآخرك لدعوى). فعض لحيته وأمر بقطع يديها ورجليها ورمى بها في السوق، فنالت رضي الله عنها شرف الشهادة وكان ذلك قبل عام **61**هـ في البصرة.

كأني بها وقد ابتسمت للموت لحظة استشهادها كأنها قادمة إلى مهرجان حافل في السماء يتلقاها بالحبور والبهجة، وفاحت من دمائها رائحة المسك وهي تتناثر قطرات كحبات العقيق فيها من عبق الأبرار وعبير الصديقين، ووقف التاريخ يدون أروع مواقف العزة والشموخ، وعندما مر بها أبو بلال في السوق عض على لحيته وقال: (لهذه أطيب نفساً بالموت منك يا أبا مرداس، ما من ميتة أموتها أحب إلي من ميتة البلجاء)، وروى العلامة الشماخي فقال: (فخرج أبو بلال في جنازتها، وقال لو أعلم أني أبعث على ما تبعث عليه لعلمت أني أبعث سوياً على صراط مستقيم).

(29/1)

إنه ليحق للمرء أن يقف إجلالاً وإكباراً لمثل هذه المرأة، فقد أوتيت من ثبات الجنان وفصاحة اللسان وصدع بالحق في وجوه الطغاة الفاجرين، ما حق لها أن يسطر اسمها بأحرف من نور، ولقد قامت بما يعجز عنه كثير من فحول الأبطال، والمتأمل لحوارها مع الطاغية عبيد الله بن زياد يلاحظ عليها رباطة جأشها ورغبتها في تحقيق أعظم الجهاد امتثالاً لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر)، كان هدفها هو نيل وسام الشهادة، الشهادة التي ليس لها جزاء إلا الجنة وتحقق الهدف، وكان لها ذكر عند أهل السماء، ودون التاريخ موقفها في أروح صفحاته وظل ذكراها عند أهل الأرض، وكأنها صورة واحدة تتكرر فبالأمس القريب كانت أختها على درب الجهاد أم عمار سمية بنت خياط تفيض روحها إلى

بارئها على يد فرعون هذه الأمة أبي جهل لعنه الله حينما طعنها بحربة في فرجها، وهذه وتلك سارتا على شغاف قلبها، فضحت في سبيله بما يراه الناس جاهاً ونعيماً وسعادة؛ فما كان من فرعون حين يأس منها أن ترجع عن إسلامها وتتخلى عما آمنت به إلا أن نصب لها الأوتاد وأذاقها صنوف العذاب فما تراجعت لحظة عن إيمانها، وما شكت في سلامة معتقدها، حتى لقيت الله عز وجل وهو راضٍ عنها، فكان لها الثواب الأكبر في الآخرة والثناء العظيم في الدنيا حين أثنى الله عز وجل في كتابه الذي يتلى آناء الليل وأطراف النهار وكفى بالله ذاكرا، فما أشبه هذه بتلك، وما أشبه اليوم بالبارحة، وهذا شأن الطواغيت والجبابرة في كل عصر، لكن الصورة هنا أكثر قتامة وأشد قبحا ذلك أن الطاغوت هنا يلبس لبوس الإسلام وينصب نفسه حاكماً للمسلمين وفي نفس الوقت هو أكثر الناس انحرافا وتضييعا لتعاليم الإسلام ومبادئه العظيمة، وإنه لمما يثير الأسى في النفس أن يوصف أولئك الطغاة بأنهم خلفاء الله في أرضه، وبأن طاعتهم واجبة، وأن هلا يجوز الخروج عليهم، ويرمى كل من يدعو للخروج عليهم وجهادهم بشتى أنواع

(30/1)

التهم، والله عند لسان كل قائل، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

** ** **

عبيدة بنت أبي عبيدة

مسلم بن أبي كريمة

هذه المرأة وابنتها قبس من ذلك النور المضيء الإمام التابعي العظيم أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي بالولاء رحمه الله وسيرته أعظم من أن نحيط بها، كني الإمام أبو عبيدة بابنته التي أخذت العلم عنه، ولعل المثل السائر الذي يقول: (الولد سر أبيه) ينطبق على هذه المرأة وابنتها جمانة. رُويت عن عبيدة وابنتها آثار في كتب الفقه الإباضي سواء فيما يتعلق بأخبار النساء أو غير ذلك، فمثال ذلك ما رواه العلامة السالمي في المعارج عن الأثر أن جمانة بنت عبيدة حدثت عن أمها عبيدة أنها كانت تقعد في ولادة بنيها الذكور خمسين يوما وفي ولاة بناتها ثلاثة أشهر فقالت عبيدة: (فسألت والدي أبا عبيدة، فقال: ذلك جائز فاقعدي ثلاثة أشهر).

ومما روي عنها ما حفظ عنها العلامة محمد بن محبوب عن جمانة أيضا أن والدتها عبيدة بنت أبي عبيدة نذرت إن قدم ابنها محمد لتعتكفن في كل جمعة في المسجد فلما رجع ابنها أرادت الوفاء بنذرها، فاستفتت أباها فأمرها أبوها أن تعتكف في مسجد الحي.

** ** **

سعيدة المهلبية

هذه المرأة العابدة المخبتة سيرتها دعوة إلى الله وشجاعة في نصرة الحق من أجل سطوع ضياء الاستقامة، كان موقفها النبيل مع طلاب العلم كفيل بأن يعرضها للتنكيل والعذاب والتمثيل والقتل، ولكن قلبها امتلأ بالخوف من الله فلم تعد تخاف سواه.

(31/1)

كانت سعيدة المهلبية زوج عبد الله بن الربيع، وكان زوجها عبد الله خال المهدي الملك العباسي ووزيراً عند أبي جعفر المنصور، وقد كان زوجها من المتعصبين والمتحمسين للدولة العباسية، لقد اقتنعت سعيدة بمبادئ وآراء أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة وأصحابه؛ فاعتنقت مذهبه بعدها اتجهت إلى تحصيل العلم، وأخذت تنهل منه من خلال مجالس العلم التي يقيمها المشايخ سراً، اتصفت سعيدة بدينها وصلاحها وأصبحت من أتباع أبي عبيدة، تألقت سعيدة حتى أصبحت داعية إلى مذهب أهل الدعوة، وأخذت تنشر مبادئهم على نساء أهل بيتها وعلى زميلاتها والجواري اللاتي يعشن في منزل زوجها الوزير، وتشير المصادر إلى أنه كان لزوج سعيدة ابن من غير سعيدة، وكان لهذا الابن جاريتان قد تسرى بهما، ولقد اقتنعت هاتان الجاريتان بأفكار ومبادئ أهل الدعوة فدخلتا في الإباضية، ومن أهل بيت سعيدة ما يذكر أن جدة سعيدة أو عمتها ذهبت مع أبي عبيدة – إمام الإباضية في تلك الآونة– إلى الحج فلما فرغا من حجهما قال له: (أريد المقام بمكة) قال لها: (الخروج أفضل)، لما رأى من بعد مكة عن أهلها الذين كانوا بالبصرة. وكان كثير من أنصار أبي عبيدة والشخصيات البارزة المنضمة إلى مذهب أهل الدعوة يبحث عنهم الحجاج والولاة الأمويون والعباسيون الظلمة ليقبضوا عليهم فيسجنوهم أو يقتلوهم، وبالنسبة للنساء كن يتعرضن للتعرية والتمثيل والقتل، وبالرغم من كل ذلك لم تتوقف سعيدة عن الدعوة بل رأت أن الدعوة لا تقتصر على أهل بيتها وبنات جنسها فقط بل تتعداه إلى مشاركة الرجل في الدعوة إلى كل فرد من أفراد الأمة.

فآزرت أبا عبيدة وصحبه، واتخذت سعيدة للإباضية سردابا لهم في دارها يجتمعون فيه لتلقي الدروس، وللاستماع للخطب الوعظية والدينية التي كان يلقيها المشايخ والعلماء بصوت منخفض؛ حتى لا يسمعهم الجيران أو المارة فينكشف أمرهم.

(32/1)

وكان أحد أولاد ابن الربيع كما ذكرناه سابقا من غير سعيدة قد دعاه أصحاب أبي عبيدة وأثرت عليه جاريتاه الإباضيتان؛ فدخل المذهب ودخل مجالس الدعوة، وعرف المشايخ ووجوههم ومنازلهم وأسماءهم، فأراد هذا الرجل أن يعتق الجاريتين ليتزوجهما، ولكن الجاريتين رفضتا الزواج به بعد أن أعتقهن، فاشتد به غضبه واستولى عليه هواه، فكتب إلى أبي جعفر المنصور بأسماء المشائخ الإباضية ومجالسهم، وكتب بأن سعيدة يجتمع عندها الإباضية في سرداب لها في دارها، فلما علم أبو جعفر بذلك، أخبر وزيره عبد الله بن الربيع – زوج سعيدة– بذلك، فقال له عبد الله: (إن ابني قد ذهب عقله وأصبح يهذي بما لا يعرف أو صار إلى ما ترى)، وقال لأبي جعفر: (أو مثل سعيدة يقال فيها هذا؟؟)، ونصحه أبو جعفر أن يعالجه ببعض الأدوية ويحبسه فاستجاب عبد الله لذلك، ولم يسع عبد الله لما علم بما يقع في داره إلا هذه الحيلة، وتَبَالَهَ المنصور الداهية وتظاهر بتصديق دعواه. إن زوج سعيدة من آل البيت وأنصاره الكبار فلا يجوز الانتقام من زوجته، ولو علم الناس أن سعيدة زوجة الوزير إباضية، وأن الإباضية يجتمعون في دار زوجها الوزير لأدى إلى فضيحة ودلّ على ضعف الدولة العباسية، وعلى قوة الإباضية وانتشار نفوذهم فيميل إليهم الناس، ولو كان ما نسب لغير عبد الله ما نسب لكانت شرطة أبي جعفر وسيوفه أسرع إلى عنقه وعنق زوجته، فهذه المرأة المجاهدة لم يمنعها ما قد تتعرض إليه المرأة من أصحاب أهل الدعوة في ذلك الوقت من التمثيل والتعرية والقتل، ولم تمنعها وزارة زوجها أن تؤدي دورها الواجب عليها، ولم يقف حجابها وحياؤها حاجزا عن المشاركة مع الرجل في الدعوة فكان سردابها ببيتها ملاذاً ومخبأً لعلماء ومشايخ أهل الدعوة.

** ** **

الفصل الثاني
(200هـ –250هـ)

* نانا مارن.
* أم أبي ميمون الجيطالي.
* أم يحيى.
* أم زعرور.
* أم جلدين.
* ابنة أبي مسور يصلتين.
* أم الخطاب.
* بهلولة.

(33/1)

---

* ابنة أبان وسيم وتكفا بنت أبي عثمان.
* منزو بنت أبي عثمان.
* زورغ الأرجانية.
* زوجة العالم المهدي.
* فتاة من "ندباس".
* زوج محمد بن محبوب الرحيلي.

نانا مارن

عاشت هذه المرأة في قرية "الجماري" بليبيا، ودرست على يد كثير من العلماء الأعلام، واشتهرت بالعلم والصلاح، والرأي السديد، ارتفعت بإيمانها وسلامة فطرتها وصدقها مع الله فوق زينة الدنيا وزخرفها، فكانت لا تأنس إلا بالله وحده ولا تصغي إلا لنداء العقيدة الخالصة، وقد كانت في صحوها ومنامها لا تتذوق جوارحها إلا حلاوة الإيمان ولذة الطاعة ونشوة العبادة، وتحتجب في مسجدها عن كل ما يشغلها عن الحق جل وعلا، ولا يزال مسجدها إلى اليوم مشرفاً فوق ربوة عالية يصارع الزمن ويطاول التاريخ.

عندما أراد الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن رحمه الله أن يختار والياً على ليبيا، وقع الاختيار على أبي عبيدة الجناوني، وعزز هذا الاختيار اتفاق المشايخ عليه، ولكن الشيخ أبا عبيدة تردد في الموافقة وذهب لاستشارة هذه الجدة فقالت له: (إن تقدمت وأنت تعلم أنه يوجد من هو

أكفأ منك فأنت في النار)، ففكر الشيخ في كلام الجدة نانا، وأخيراً رجع إلى المشايخ، وأعلن إليهم قبول لذلك المنصب، وكان لهذا الموقف الحازم من الجدة أثر في التاريخ لا يزال إلى اليوم يذكر بالفخر والاعتزاز، فهذه الجدة كانت واعية وعارفة بمجرى الأحداث والتيارات السياسية المعارضة، وكانت تسعى لتوجيه الأمة إلى الوجهة الصالحة.

** ** **

أم أبي ميمون الجيطالي

(34/1)

كان بجيطال امرأتان، ولكل واحدة منهما ابن صغير، فسألت كل واحدة منهما الأخرى: (ما ظنك بابنك وما ترين فيه؟) فقالت إحداهما: (أراه أن يكون عالماً)، وقالت الأخرى: (أراه أن يكون عابداً) فسألت كل واحدة منهما صاحبتها: (بماذا استدلت على ما قالت؟) فقالت أم العابد: (أرى ذلك لأني إذا كنت في الصلاة سكت وترك البكاء والتنعض) وقالت الأخرى: (أرى ذلك لأني إذا شهدت مجلس الذكر والعلم سكن واطمأن قلبه لذلك ولم يتحرك وإذا كنت في غيره أكثر البكاء والقلق) فصدقت فراسة كل واحدة منهما، فكان العالم منهما هو أبو ميمون الجيطالي، لقد كانت أم أبو ميمون حريصة على حضور مجالس العلم بالرغم من مشاغل الحياة الزوجية وتربية الأبناء، وتفرغت لتربية ابنها، وبذلت جهدها في تنشئته النشأة الإيمانية الحقة، فنشأ أبو ميمون محباً للعلم والدراسة، حريصاً عليها حتى حقق أمنية أمه فصار بعدئذ عالم عصره يقصده العام والخاص لتلقي العلم على يديه، وبلغ درجة من العلم والحكمة والعبقرية جذبت إليه القلوب وحفته بهالة من الإعجاب وأحاطته بحفاوة من التقدير؛ وهنا أيقنت أمه أن فراستها صدقت وأن بذرتها التي تعاهدتها تلك الليالي والأيام ها هي مورقة تؤتي أكلها الطيب وتنشر الخير والهدى فكانت المرأة الراضية الشاكرة.

** ** **

أم يحيى
زوج أبي ميمون الجيطالي

كانت حياتها الارتواء من مناهل العلوم والدين والاستغراق في عبادة الله ونشر النور الإلهي بين بنات جنسها، جمعت بين العلم والعمل وبين التحصيل والعبادة وبين العكوف على التأمل والأخذ بيد الحيارى إلى الطريق المستقيم، إنها أم يحيى العالمة الفاضلة والمربية القديرة، سكنت مدينة (أمسيسن" بليبيا، درست على يد كثير من فحول العلماء منهم أبو ميمون الجيطالي، تزوجت أم يحيى من أبي ميمون العالم الذي صدقت فيه فراسة أمه، فلما نزل من الجبل ونظرت إليه من القبة فوق الجبل استصغرت شأنه لما رأته أقصر تلامذته قامة، فلما حلقوا عليه، وأقبل كل واحد منهم يسأل والشيخ يجيب، رأت حينئذ أن الشيخ أطولهم وأعظمهم، فما طلعوا إلى الجبل إلا وهو أعظم الناس في عينيها.

كانت معينة لزوجها على شدائد الحياة ومتطلباتها تقول: (وجدت على أبي ميمون أربعين ديناراً ديناً فقضاها الله عنه بعمل يدي).

وقد آتاها الله ذاكرة حافظة واعية لا تكاد تسمع شيئاً إلا بقي في ذاكرتها ومن ذلك أنها سمعت وهي في طريقها للحج رجلا ينشد قصيدة من ثمانين بيتا فحفظتها كلها، وما ذلك إلا دلالة على قوة حفظها وعمق تركيزها، وكانت آمرة بالمعروف ناهية عن المنكر لا تبالي في نصيحة المسلمين وقول الحق لا تخاف في الله لومة لائم ومن ذلك ما ذكر عنها أنها ذهبت يوماً إلى المسجد لحضور صلاة الجماعة، وكان المسجد مكتظاً بالمصلين، وعندما بدؤوا للصلاة انطلق صوتها (أم يحيى) يأمر الإمام بالتأخر لأنه ليس أهلاً لأن يصلي بالمسلمين، واستجاب الإمام لصوت الحق فتأخر وتقدم من هو أولى، وتقضي الظروف أن تلتقي أم يحيى في مضيق من الطريق بهذا الرجل الذي آذته في الله فتوجست في نفسها خيفة وخشيت أن تلقى منه بعض ما تكره، ويحس الرجل ما في نفسها، فيقول لها: (امضي راشدة، لولاك لهلكنا، يسر الله لك سبل الجنة).

اشتهرت أم يحيى بالعلم والفضل، وكانت ترى أن الفتاة لا تتم دراستها في مدارس مختلطة يدرس بها الطلبة الذكور، فأنشأت مدرسة خاصة للفتيات، وفتحت بها شبه ما يسمى اليوم بالأقسام الداخلية حتى يتسنى للبعيدات منهن الإقامة في المدرسة، وسرعان ما اجتذبت الفتيات إلى مدرستها وعلمها وحكمتها كما تجتذب الرائحة الطيبة في الروض كرائم الطير،

وكانت أم يحيى تقدم لهن الأكل، وتشرف على تعليمهن، فكانت كلماتها تخرج من قلبها صادقة مبرورة تنتقل إلى القلوب وتسكن في الصدور، وتفعل فعلها في الجوارح، واهتمت أم يحيى شخصيا بالإشراف على تربيتهن في بيئة إسلامية صالحة وتطمئن على فهمهن لواجباتهن الدينية والاجتماعية وأنه اكتمل لديهن مقومات المرأة الفاضلة، فطوبى لهذه المرأة التي بذلت نفسها ومالها من أجل طالبات العلم والدين، فما أجمله من موقف عندما أعلنت رأيا لحل مشكلة تعليم المرأة ثم نفذته، وهذا الرأي هو نفسه ما اقتبسه علماء النفس والتربية والتعليم في الوقت الراهن، حين علموا أن الاختلاط في التعليم أحد أهم أسباب الفشل لدى الطلبة والطالبات، ولم يعلموا أن ذلك كان رأي أم يحيى منذ عشرة قرون في قضية تعليم المرأة.

وإلى جانب ذلك لم تنس أم يحيى واجباتها تجاه الحياة الزوجية فكانت نعم الزوجة والمربية، وعندما خرج أبو ميمون للحرب شيّعته، وقالت له: (ادع الله أن يكتب لك السلامة) قال: (ذلك عقد فرغ منه، ولكن ادع الله أن يجعلك زوجة لي في الجنة) فلما استشهد بقيت بعده أم يحيى كهفاً للإسلام ومأوى للأخيار، فكان يجتمع عندها العزابة في ليلة الجمعة يقضون ليلتهم في العبادة.

** ** **

أم زعرور

زوج أبي محمد التغرميني

إذا نظرت إلى أي جانب من جوانب حياة هذه المرأة تجده مشرقاً وضّاءً، طيب الذكر، وسيم الملامح، فهيا بنا نبحر في أعماق هذه الشخصية الفذة.

(37/1)

نشأت هذه الفتاة في "جيطال" بليبيا بين أسرة فقيرة، وفي سنة من سنوات القحط والجفاف ارتحل أهلها إلى "أمسيين" بليبيا طلباً للمرعى، وهناك سمعت بمدرسة أم يحيى فتاقت نفسها إلى العلم والتعلم فالتحقت بهذه المدرسة، تتلمذت هذه الفتاة على يد العالمة الجليلة أم يحيى، وأخذت هذه العالمة تشجعها على التبحر في فنون العلم والاستمرار في الدراسة، ومما ساعدها على ذلك ما وهبها الله به من ذكاء حاذق وفهم عميق فتوفقت على زميلاتها، وكانت إلى ذلك ذات جمال بارع، وكان لنبوغها المبكر وذكائها اللماح موضع إعجاب وتقدير

معلمتها أم يحيى.

هذه الفتاة شدت انتباه أستاذتها أم يحيى فوصفتها إلى العالم الجليل أبي محمد التغرميني؛ فرغب العالم من أم يحيى أن تتيح له فرصة التعرف على هذه الفتاة التي قد تكون زوجة له إن شاء الله.

فأمرت أم يحيى أن تأتي هذه الفتاة لها بجرة ماء من صهريج بجانب المدرسة، فذهبت الفتاة إلى الصهريج تحمل جرتين أحدهما لها، والثانية لأستاذتها أم يحيى، فلما وصلت إلى الصهريج وجدت بجانبه أبا محمد، فأرسل إليها تحية الإسلام وطلب منها أن تملأ له جرة كانت في يده، فردت السلام عليه ولم تضطرب بهذا الطلب من رجل غريب واستمرت وكأن شيئا لم يحدث، فملأت جرة أستاذتها أولاً ثم ملأت جرتها ثم أخذت جرة الغريب، أعجب أبو محمد بهذا الخلق وهذه الرزانة وهذا الثبات، وقال لها: (هل لله مزرعة يا جارية؟) فقالت: (نعم) فقال: (وهل لها من يحرثها؟) قالت: (نعم) قال: (وهل له مخازن؟) قالت: (نعم) ثم أخذت تشرح له في فصاحة وبيان، فقالت: (المزرعة هي الدنيا والحراثون الناس والحاصد الموت والمخازن الجنة والنار).

(38/1)

وهكذا علم أبو محمد أن هذه الفتاة قد جمعت بين الجمال وكمال العقل والأدب والعلم والذكاء وهي صفات قلما تجتمع في شخص واحد، فخطبها أبو محمد من عمها، فلم يوافق أقارب الفتاة، ولكنها أخبرتهم إنها لن تتزوج إلا من يرضى عنه عمها، وكان عمها إلى جانبها ورضيت بأبي محمد زوجاً لها؛ فتزوجها أبو محمد، وعاشت معه حياة مليئة بالسعادة والحب والتفاهم المشترك، وهكذا ظفر أبو محمد بزوجة محبة وزميلة عالمة ومربية قديرة، وكان من خلقهما أنهما ما نزلا عن فراشهما إلا وتحاللا، حتى لا يبقى على أحدهما من حقوق الزوجية شيء.

وبعد فترة وجيزة رزقهما الله ولداً أسموه زعروراً، وتفانت أم زعرور في تربية ولدها حتى أصبح رجلاً صالحا، وهكذا قضت أم زعرور حياتها مجاهدة بين العلم ورعاية زوجها وتربية أولادها حتى توفاها الله، فهذه المرأة لم يعقها الفقر عن الدراسة ونيل أعلى مراتب العلم.

** ** **

أم جلدين

لا أدري لم كنيت بأم جلدين؟ هل لشدة جلدها وصبرها وهو أبرز معالم سيرتها وحياتها ؟ أم أن لها فعلا ابنا يسمى بذلك ؟ وعلى كل حال فهي امرأة صالحة نشأت في "يفرن", وتزوجت هناك من أحد أشياخ العلم وكان لهذا الشيخ بنات من غير أم جلدين وكن يؤذينها, فيأخذن الدقيق ويخلطن فيه تربة بيضاء, ويأخذن اللبن ويسكبن الماء فيه, وكانت صابرة لا تضجر من تلك التصرفات فكانت تأخذ الدقيق فتجعله في آنية وتصب عليه الماء فترسب التربة وتأخذ الدقيق من فوق, وكان ذلك دأبها حتى ضعفت واصفرت من إيذائهن لها, ولم تخبر أباهن بشي من ذلك ثم متن جميعا فأراحها الله منهن, وبقيت من غير ولد واستحى أن يتزوج عليها, واستحيت منه أن يبقى بغير ولد, فرغبت إلى ربها فأجيب دعاؤها فسمعت هاتفا يبشرها, فولدت أربعة ذكور متتابعين متعها الله بهم زماناً ثم ماتوا جميعا فاحتسبتهم عند الله تعالى.

(39/1)

لقد كانت أم جلدين حليمة هادئة الطباع تعفو عمن أساء لها وتصفح عمن ظلمها ولا تضمر لإنسان شرا ولا تخفي بين جوانحها غدرا, بل إنها كانت تقابل الإساءة بالإحسان والتطاول عليها بالعفو والمغفرة, ومع كل هذه الشمائل العطرة المستمدة من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فإن أبرز علامات هذه العابدة القانتة المخبتة كانت تتمثل في الصبر والرضا في أشد المحن زلزلة للنفس.

وكانت أم جلدين ذات مكانة ومنزلة لدى المشايخ, وتحرص في كل لقاء أن تستفيد منهم, وكانوا يزورونها.

سألتهم يوما عن دواء للذنوب, فقال لها الزواغي: (حب المسلمين يخرج العبد من الذنوب كما تكشط الشاة من جلدها, وكما ينزع الشعر من الزيت).

ولا عجب بعد ذلك أن يكون لها عند ربها المكانة العظمى بحيث يجيب دعاءها ويوفقها لطاعته فمن كراماتها أنها سألت ربها أن لا تموت حتى ترى أم زعرور وزيتون تغرمين, وأن يصلي عليها أبو محمد إذا ماتت, فكتب الله أن ارتحلت مع أهلها طلبا للمرعى والخضرة حتى بلغوا تغرمين, فمضت ابنتا ابنها إلى تغرمين يطحنان فصادفتا بيت أم زعرور, فأخذتا في الطحن والعجوز ــ أم زعرور ــ مشغولة بالعبادة, فقالتا فيما بينهما:(إن هذه العجوز مثل جدتنا) فسمعتها أم زعرور فسألتها فأخبرتاها عن أم جلدين فخرجت أم زعرور إليها زائرة, والتقت المرأة الصالحة بالمرأة الصالحة وتواصتا بما فيه الخير, ثم قالت أم زعرور لأم جلدين (ادعي

الله) فقالت: (بل ادعي أنت, فإني استحيت من ربي, سألته ثلاثا) تعني أن ترى أم زعرور وترى زيتون تغرمين وأن يصلي عليها أبو محمد, فدعت أم زعرور ورجعت إلى منزلها, فأخبرت أبا محمد _زوج أم زعرور _ فذهب هو الآخر ليزور العجوز الصالحة أم جلدين, ولكنه وجدها قد توفيت فصلى عليها ورجع ينقل الخبر إلى صديقتها الوفية.

(40/1)

وهكذا تحققت دعوات أم جلدين, هذه العابدة القانتة التي كانت عابدة كأخلص ما تكون العبادة حتى أجاب الله دعاءها, وكانت متوهجة الوجدان حبا لله وشوقا إليه كتألق الشهاب الساطع, عاشت حياتها على مائدة القرآن وعلومه وفي ذكر دائم لله في مصلاها الذي لا يزال معروفا إلى اليوم في يفرن.

** ** **

ابنة أبي مسور يصلتين
النفوسي الأدوناطي

نشأت هذه الفتاة النجيبة الذكية في كنف والدها أبي مسور في "أدوناط" بليبيا، وأخذت العلم عنه وعن غيره من العلماء حتى بلغت رتبة سامقة فيه، وكانت قوية الحجة حاضرة البرهان.
وفيما يلي نماذج من مواقفها مع أبيها التي تشف عن ذكاء متقد وفهم عميق لمقاصد الشرع مع فصاحة اللسان وحلاوة المنطق:-

1- جاءت إلى أبيها يوما تسأله عن مسائل الحيض، وتصف له بعض ما أصابها، فقال لها العالم الكبير: (ألا تستحين؟) فقالت: (أخشى إن استحيت منك اليوم أن يمقتني الله يوم القيامة) فألزمت أباها الحجة ولم يجد لها رداً وأجابها عن أسئلتها.

2- تدللت على أبيها يوما فغاظته فقال لها: (لأزوجنك بمن له عليك سبعون حقا) فأجابته بكياسة: (إذن أردهن إلى ثلاث: إن دعا أجبت، وإن أمر امتثلت، وإن نهى اجتنبت).

3- جلست ذات يوم إلى أبيها بعد أن فرغت من غسل ثيابها ونشرها، ونظر الأب إلى الثياب النظيفة البيضاء فقال: (تمنيت أن الله يطهر قلبي مثل هذه الثياب) فقالت: (أتمنى لو جعل الله تطهير قلبي إلى يدي فأغسله مثل هذه الثياب وأبعثه إلى خالقه نظيفاً) فقال الشيخ معجبا بابنته الذكية: (إنك أبلغ مني حتى في الأماني).

4- قال أبو مسور يوما: (المسلمون أفضل من أقوالهم) قالت: (أقوالهم أفضل لأن المسلمين يفنون وتبقى أقوالهم والعلم أفضل).

هذه الفتاة لم يمنعها حياؤها من التفقه في دينها، وما أروعه من شرف أن تكون هذه الفتاة أبلغ من أبيها الشيخ العالم.

** ** **

أم الخطاب
زوج أبي يحيى الأزدالي

(41/1)

كان أبو يحيى من العلماء العاملين، تزوج بعد أن تقدم به العمر من ابنة نصراني، وسبب تزوجه بها أنه أراد جمع العنب، فأرسل إلى نصراني كان يقضي له حوائجه ليأكل العنب، فأتاه مع عياله وبناته وكن بدور الخدور، فأبصرهن الشيخ: فقال: (أعندكم هذا الجمال؟) قال: (نعم، وإن جاز في دينك زوجتك واحدة منهن) قال: (نعم) قال: (اختر)، فاختار الشيخ أم الخطاب، فلما آوى إليها في الليل حدثها عن الإسلام وشرح لها قواعده وأصوله، وكانت كاملة العقل فشرح الله صدرها للإسلام.
أقبلت أم الخطاب بفطرتها النقية على دراسة الإسلام وأصوله، كما ازداد شغفها بتفسير القرآن وتفهم آياته، وساعدها على حفظ الآيات وفهمها واستيعاب أمور دينها ذكاء لماح ينير ذهنها وبصيرة صافية تستوعب كل ما تلقى فيها من رصيد المعرفة، فحفظت الزهراوين: سورة البقرة وآل عمران، فعرضتهما على زوجها الشيخ أبي يحيى فاستحسنها، فقال: هذه ليست بقراءة أهل الأرض، ثم تعمقت في فهم أسرار الشرع ومقاصده حتى بلغت درجة عظيمة من العلم، وأصبحت مقصداً للعلماء الأعلام، وعندما تقدم بها العمر شغلها الخوف من الله عن كل ما تحفل به الدنيا من متع ومسرات، وما يخبئه القدر بين طياته من فواجع وأحداث، فقد كانت تعيش بحسها بين الناس وبفكرها ووجدانها مع الملأ الأعلى فأحيت نفسها لله بذكره فإنما تحيا القلوب بذكر الله تعالى، قصرت نفسها في مصلاها الذي ما يزال في "تغرمين" بليبيا يطاول التاريخ واسمه "أغرم إيمان"، وزارها يوما الشيخان أبو مرداس، وأبو الحسن الأبدلاني بعد أن

أصبحت عجوزاً ففرحت بزيارتهما، وذبحت لهما شاة لضيافتهما، وأخذت تناقشهما في مسائل العلم ومعاني العبادة، وهكذا قضت ذلك العمر المبارك في ذكر وطهر وصلة بالله دائمة، حتى اختارها الله بقربه.

** ** **

بهلولة
زوج أبان بن وسيم

(42/1)

كانت بهلولة امرأة صالحة عالمة، وكان أبو ذر أبان بن وسيم مثلها علماً وصلاحاً، فأعجب بها فخطبها إلى وليها، فلما عقد عليها نكاحها ذهب فرحاً مستبشراً إلى بيتها ورام إرخاء الستر عليها هنالك، فلما وصل بيتها استأذن عليها ففتحت الباب، فقالت: (من هذا؟) فقال: (أنا إبان قد زوجنيك وليك) قالت: (إن أتيت ببينة رضينا بك زوجاً وإلا فانصرف) ثم قالت: (إنك وإن كنت أميناً لمحتاج إلى أمناء)، واضطر العالم الشيخ إبان أن يثبت دعواه بشهادة الشهود وإقرار الولي حتى رضيت به بهلولة زوجا، وكانت له نعم الزوجة وكان لها نعم الزوج، فما عرف أن زوجين تشابها خلقاً وعلماً وديناً كما تشابه هذان الزوجان.
وقد دلت الحادثة السابقة إنها أملك منه لزمام نفسها وأكبح لعاطفتها وأرسخ قدماً في الوقوف عند حدود الشرع وتطبيقه، فلما استخفه العزم بموافقة الولي على خطبته لها لم يجعل لشيء آخر حساب، أما هي فقد طبقت عليه أحكام الشريعة السمحة تطبيق العالمة المؤمنة التي تراعي الدقة والحق في الأحكام فلم تعتمد على معرفتها الشخصية لأبان فلم تستجب لثقتها به، وإنما رجعت في تلك القضية إلى حكم الله.

** ** **

ابنة أبان بن وسيم النفوسي
وتكفا بنت أبي عثمان
ذكر أن ابنة لأبان جاءته زائرة فصب مطر غزير يمنع من الخروج، فقال لابنته: (بيتي الليلة

عندنا) فقالت: (لم يأذن لي زوجي في المبيت وإنما أذن لي في الزيارة فقط) فظل المطر يهطل وأقبل الليل، فعلم الشيخ أبان أن الذي قالته ابنته هو الصواب، فقال لها: (إذن فسيري في حفظ الله وستره) ودعا لها، فمضت إلى زوجها ومنزله بعيد، فوصلت المنزل والمطر ما زال يهطل، فجعل أهل البيت يتعجبون ويذكرون الله عز وجل ولطفه بعباده الصالحين وكيف أن الله تعالى حفظها بدعوة والدها وبطاعتها لزوجها.

(43/1)

وما أشبه هذه القصة بما حدث لـ (تكفا) بنت أبي عثمان (باثمان) حين زفت إلى زوجها في ليلة مطيرة فخشيت الهلكة من كثرة المطر، وكان والدها باثمان معها، فقالت له: (يا والدي إني أخاف على ثيابي البلل، وأنت تعلم حال العروس واحتياجها إلى الثياب الجديدة وما ينبغي لمثلها من النظافة والنقاء، فما الحيلة؟) قيل فدعا الله أن يحوطها ويسترها فحفظها الله سبحانه وتعالى.

** ** **

منزو بنت أبي عثمان المزاتي

تعالوا بنا نصحب هذه المرأة العاملة الزاهدة ساعة نتأمل سيرتها في روعة صبرها وتقواها وتحملها لمشاق الحياة الزوجية، والصبر على الزوج الفظ الغليظ القلب، لتكون المثل والقدوة والنموذج لكل امرأة صالحة ترجو ثواب الله ورضوانه.

(44/1)

إنها منزو بنت أبي عثمان المزاتي أخت تكفا، زوجها أبوها رجلاً من قومه فركب على جمل له ومضى حتى مر بنساء على ماء، فقال: (إن كانت منزو فيكن فإني لا آذن لها في المقام بعدي) وكانت فيهن فقامت فأخذت رداءها فارتدته، وسارت في إثر بعلها حافية راجلة فمشت حتى رقت قدمها وآذاها المشي، فصارت إذا رفعت قدماً إذا الدم في موضع القدم إلى أن ينزلا، فإذا نزلا قامت فابتدرته بردائها فوسدته، ثم عالجت طعاماً لعشائه، ثم تقوم تصلي بقية الليل إلى أن يطلع الفجر، فكان ذلك حاله وحالها حتى وصلا وطنه، فبنى لها بيتاً بعيداً عن

الناس، وكان يسيء إليها وهي تحسن إليه، ثم تزوج عليها امرأة أخرى فلاقت المزيد من سوء العشرة وهي تزيد من الإحسان والصبر، ومرت بها قافلة ذات يوم، وسمعوها تنشد شعراً بالبربرية ما معناه: (ألا أحد من يزورني في الله فيذهب غم النفوس ويزيل الوحشة) فلما وصلوا وطن منزو تذاكروا كلامها، فسمعه بعض المشايخ فذهبوا لزيارتها، ووجدوها في حالة يرثى لها خارج خيمتها؛ فقال لها أحد المشايخ: (إني لأختار أن أجد جنازتك خارجاً ولا أراك على هذا الحال) ومكثوا عندها ثلاثة أيام، وقبل أن ينصرفوا نصحوها بالصبر والتحمل والإحسان ودعوا الله عز وجل لها بالفرج، فما مضت أيام قليلة إلا ومات زوجها ففرّج الله عنها ما تجده من التعب والعناء.

** ** **

زورغ الأرجانية

(45/1)

نشأت هذه الفاضلة في كثر فيه أهل العلم والصلاح في جبل نفوسة في قرية "أرجاجن" بليبيا، فليس بغريب أن تشملها نفحات أولئك الأبرار، وأن تتشبه بأولئك الصالحين فكانت شديدة الورع، كثيرة العبادة، قريبة من فعل كل ما أمر الله به، بعيدة عن كل ما نهى الله عنه، ضربت أروع المثل في اجتهاد المرأة الصالحة للسعي لتنال رضى الله، ولم يكن زوجها من تلك الفئة التي لا تقدر الأعمال أو يتلقى ذلك الاجتهاد ببرود وفتور، بل كانت تأخذه الأريحية وهو يراها ذاهبة راجعة في طاعته، فكان دائما ما يدعو لها بالجنة وأي دعوة خير من تلك، وكان لزوجها امرأة أخرى، ومن مواقفها الرائعة مع زوجها أن أختا له مرضت، فأراد الزوج الرحيل إلى الربيع طلباً للمرعى، وما أمكنه أن يقول لإحدى زوجتيه اقعدي لتمرضي أختي وأرتحل أنا بالأخرى، ولكنه ارتجى الخير عند زورغ، فقال لها: (لي عندك حاجة) قالت: (كل حاجة لك مقضية إلا تركي تمريض أختك فلا أرتحل وأتركها) فقال: (تلك أعظم حاجتي ورزقك الله تعالى الأجر والجنة) وظلت تخدم أخت زوجها حتى أتت هذه الأخت، لقد نالت بهذا الموقف الرائع الأجر العظيم فقد أطاعت زوجها وساعدت أخته في محنتها.

لم تكن زورغ مثالا للنساء الصالحات في طاعة الزوج فحسب بل قدوة أيضاً في مساندة زوجها في أمور دينه ودنياه، فكانت نعم المعينة له في ذلك، فكانت تعين زوجها على العدل

بينها وبين ضرتها أخذاً بالحديث النبوي: (وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما)، فعندما أعجب زوجها بنوع من الطيب اختاره لزورغ، وأتى به إليها ذكرته بالعدل بين نسائه وأبت أن تستأثر به.

(46/1)

كانت هذه المرأة الورعة ساعية في توفير الراحة الجسدية والنفسية لزوجها ليس فقط في البيت وإنما تعداه إلى خارجه، فعندما أراد زوجها نقل شيء من التراب أخبر زوجته زورغ بالمشقة والتعب الذي سيلاقيه إزاء ذلك ففاجأته حين قالت له: (قد نقلته بالبقرة) فما كان من زوجها إلا أن دعا الله لها بأن يرزقها الجنة، وهل يريد الإنسان بعد هذه الدنيا الفانية إلا رضى الله ودخول الجنة، فما أروعه من موقف وما أفضله من دعاء.

وكانت زورغ تسعى جاهدة إلى طلب العلم وإتقانه برغم ما تعاني من صعوبات، فقد زارها العلامة أبان بن وسيم مرة وأخذ يلقنها القرآن الكريم، ولم تطق تقويم لسانها، فرخص لها بعد أن تحيرت في تقويم لسانها أثناء قراءة القرآن.

وكان لهذه المرأة الصالحة التقية الورعة كرامات عديدة ذكرها العلامة الشماخي في سيره، ونحن وإن كنا نؤمن بالكرامات ونعتقد بأنها فضل يختص الله عز وجل به بعض عباده، فإننا برغم ذلك لا نعول عليها كثيراً، وكل نعم الله عز وجل هي محض فضل لعباده بلا استحقاق منهم بذلك، وأعظم كرامة هي أن يعيش الإنسان على الاستقامة ويرزق حسن الخاتمة.

** ** **

زوج مهدي الويغري

ما أعظمه من موقف وقفته هذه المرأة الصالحة مع زوجها العالم الورع الزاهد، لقد تركت زخارف الدنيا ومباهجها من أجل أن تتزوج بهذا الرجل الصالح الذي يعينها على أمور دينها ودنياها، فما أجدر فتيات عصرنا أن يقتدين بها في اختيار الزوج الصالح.

لقد علمت هذه المرأة الورعة أن المال لا يخلق السعادة الزوجية فلم يغرها الزوج الطالح الممتلئ بالكنوز والأموال، فإنه إذا وجدت سعادة فستكون زائفة زائلة، وإن الإسلام كان ولا يزال يحلّق بالزوجين إلى سعادة الدنيا والآخرة، فهيا بنا نستشف من مواقف هذه المرأة ما يعطينا النموذج الأمثل لكل فتاة في اختيار الزوج.

خطب العالم مهدي الويغري امرأة بجبل نفوسة، فاستشارت هذه المرأة في أمره شيخاً من المشايخ، فقال لها: (إن مهدياً رجل له رغبةً في الآخرة، وزهد في الدنيا واجتهاد في الصلاح، وله أرض محثوث لها سدود فانهدمت سدودها وخربت جسورها، وأراد أن يصلحها، وأراد أن يتزوجك فلا تصلح جسوره إلا بتراب تنقليه على رأسك) فزادها ذلك رغبة فيه وفي صلاحه. وتزوجها مهدي، وبعد سنتين زارها فلم يجدها في بيتها، فأعلم بمكانها فوجدها في الحرث مع مهدي وهي تنقل التراب على رأسها لإصلاح الجسور، فذكرها الشيخ فيما أعلمها من قبل به، فحمدت الله على ما أعطاها من خدمة ولي من أوليائه، لقد ضربت هذه المرأة النموذج للمرأة المؤمنة ليس فقط في اختيار الزوج الصالح وإنما أيضا في بذل الجهد والغالي والنفيس من أجل خدمة الزوج وتحقيق الراحة له.

** ** **

فتاة من ندباس

عندما ارتحل أبو معبد الجناوني إلى تيجي في ليبيا، والتحق بمدرسة سعيد بن أبي يونس الطمزيني، درس هناك حتى ظن أنه نال غايته من اعلم، وقفل راجعا إلى مدينته "أجنّاون"، فمر في طريقه بقرية "ندباس"، فوجد أمة تسقي الماء من صهريج خارج القرية، وكان قد بلغ منه الجهد والعطش ما بلغ، فاتجه إليها وطلب منها أن تسقيه، وبدلا من أن تسارع الأمة إلى إرواء هذا العطشان. نظرت إليه في استنكار، وقالت له: (أتستخدم أموال الناس يا جاهل؟)، لقد صدعه الجواب العنيف ولقنته الأمة درسا، أبعد كفاحه الطويل في طلب العلم تعيره أمة بالجهل، ورجع إلى نفسه يسائلها بأي حق يستخدم أمة الغير، وعرف حينئذ أنه ما أوتي من العلم إلا قليلا، ورجع إلى نفسه وتاب، وعرف أن دراسته كانت نظرية بحتة وإنه في حاجة إلى المزيد، ورجع إلى المعهد الذي كان يدرس به، فأقام فيه وأطال الإقامة حتى أصبح عالما بين العلماء ومرجعا، وأصبح ذلك العالم العامل الذي يقوم مقام أمة، إنه بفضل المرأة تعرف حدود الدين ومنتهى الحقوق، وكيف أن الإماء في ذلك العصر بلغن درجة من العلم فحق لهذا

الموقف أن يسجله التاريخ في أروع صفحاته ويستخلص منه العبرة والفائدة.

** ** **

زوج محمد بن محبوب الرحيلي

(49/1)

هذه زهرة نبتت في دوحة الإيمان والتقى، وسقيت بماء الفضيلة والهدى، وانتقلت من روضة شيخ المسلمين حيث نمت وترعرعت إلى روضة أخرى حيث تفتحت وأثمرت، ونحن لو أردنا أن نصف الورع في أروع صوره، والصبر في أنصع معانيه، والتضحية في أعلى مواقفها لقلنا إنها تتمثل في هذه الصورة الطاهرة، لم تدرس في جامعة فلم تكن في أيامها جامعات، ولكن تولاها في طفولتها بحر العلوم الزاخر شيخ المسلمين موسى بن علي الأزكوي ورعاها في شبابها شيخ التقى والإخلاص العلامة محمد بن محبوب الرحيلي، كانت هذه الدرة المكنونة تتحرى الحلال في المأكل والمشرب والملبس، سيدة كان لها من نبل القلب وكبر العقل وثبات الجنان ما لم يكن مثله إلا في القليل من عظماء النساء، صبرت وتحملت البعد عن الوالدين والإخوان والأهل من أجل زوجها وأولادها حتى منّ الله عليها بزيارة والدها لها بعد عشر سنين من الفراق، فما هي قصة زواج هذه المرأة الطاهرة؟.

(50/1)

يروى أن الإمام محمد بن محبوب الرحيلي الصحاري، زار الإمام موسى بن علي العزري في إزكي بعمان، وكانا قطبي زمانهما، فخطب الإمام محمد بن محبوب إحدى بنات الإمام موسى، وكان عنده ثلاث بنات وعندهن مربية مملوكة، فقال الشيخ موسى للمربية: (اختاري لضيفنا العزيز واحدة من هذه البنات)، فأعطت المربية كل واحدة منهن– على انفراد– شيئاً يؤكل ولم تقل لها شيئا، وفي اليوم الثاني جاءت إلى الكبرى، وسألتها عم أعطتها، فقالت: (أكلته)، والوسطى كذلك، أما الصغرى قالت: (هاهو)، قالت لها المربية: (لأي شيء لم تأكليه؟)، قالت الصغرى: (ما قلت لي كليه بل أعطيتني ومضيت، ولا أدري لماذا العطاء، وما كنت لآكل شيئا لا أعرفه)، فقالت: الخادمة حينئذ لسيدها الشيخ موسى: (ابنتك الصغرى تصلح للضيف)؛

فزوجه إياها، وسافر بها الشيخ الرحيلي إلى صحار، ومضت مدة طويلة فاشتاقت أمها إليها، فقالت لأبيها: (إما أن أسير لزيارتها أو تسير أنت)، قال: (بل أنا أسير) فسار إلى صحار، وكان لا يعرف منزل الشيخ محمد الرحيلي، فبينما هو يمشي في بعض الطرق وجد صبين يتحاوران على عود شوك سقط في الطريق، فقال أحدهما: (إن هذا الشوك سقط من هذا الجدار وهذا أثر موضعه من الجدار فينبغي أن نرده فيه)، وقال الآخر: (بل ألقته الريح في الطريق ويحتاج أن نخرجه إلى مكان آخر) فوقف عندهما، وسألهما فقال لهما: (إني أشم عليكما رائحة آل الرحيل، فأولاد من أنتما؟) قالا: (نحن أولاد محمد بن محبوب الرحيلي) قال: (ومن أمكما؟)، قالا: (ابنة موسى بن علي)، فاحتضنهما وسار معهما إلى البيت، فأخبرا أمهما بمجيء جدهما، فقالت لهما: (قولا له أن يجلس في المسجد أو تحت سدرة هناك لأن صاحب المنزل غير حاضر)، فرجع الشيخ محمد قبيل الظهر، فوجد صهره خارج البيت فتعانقا، وغضب الشيخ محمد على زوجه حيث لم تدخل أباها، قالت: (ما أمرتني بذلك)، قال: (أفأنا أعلم أنه سيأتي هذا اليوم؟) فاعتذرت إلى أبيها لهذا السبب، فقال

الشيخ موسى: (أصبت، لو أدخلتني ولم يكن عندكِ سابق إذن، لما رضيت عليك) وأيد ابنته على موقفها وإنها على حق ولا لوم عليها.

** ** **

الفصل الثالث

(250هـ –350هـ)

* أخت أبي حفص عمروس المساكني
* الزهراء السقطرية
* الغاية
* غزال.

أخت أبي حفص عمروس المساكني

هكذا عرف لنا التاريخ شخصية هذه المرأة بأنها أخت عمروس أما عن اسمها فلم تسعفنا المصادر التاريخية الباقية من التعرف عليها، فإذن هي أخت العلامة أبي حفص عمروس المساكني أحد فطاحل العلماء العاملين، كانت نجيبة ذكية تتمتع بثقافة واسعة وغزارة علمية، ومن حق تاريخها المضيء بنور العلم والمعطر بعبير التقوى أن نقف عندها وقفة نتأمل مدارجها في العلم ومعارجها في الفهم، كان أخوها يستورد نفائس الكتب من كل مكان، ويظل يدرسها دراسة المتعمق الفاهم، وعندما يحس بالتعب أو السأم كانت هي التي تتولى عنه القراءة والكتابة أو النقاش، وكم شهد بناء ذلك المنزل العامر من نقاش واع لمسائل العلم يدور بين ابنة فتح وأخيها، بين هذه الصبية الحسناء الذكية المثقفة التي تمثل المرأة المسلمة الواعية وبين أخيها الذي كان حجة في العلم، وقد يطول النقاش بين الأخوين العالمين حتى تقتنع بصحة رأيه فتسلم، أو يقتنع بوجاهة نظرتها فيرجع إليها، وعندئذ يستمران في الدراسة، وهكذا كانت هذه الفتاة الذكية مرافقة لأخيها في دراسته تستمع إليه، وتأخذ عنه حتى بلغت مبلغاً من العلم قل أن تصل إليه فتاة، وعندما كان يقوم أخوها أبو حفص بالدراسة أو بالتأليف كانت تقدم له مادة التأليف، وتلخص له مواضيع البحث، وتعد له مناهج الدراسة، وتساعده في الكتابة، فتملي عليه، أو تتلقى منه الإملاء فتكتب، وهكذا وجد منها منسقة ذكية بارعة.

(52/1)

ومر ذات يوم العالم المحدث الفقيه بشر بن غانم الخراساني (بقطرس) البلد التي يسكنها عمروس وأخته يحمل معه مدونته. واستقبله عمروس استقبال الأخ المسلم لأخيه المسلم، وعندما أراد الرحيل ترك المدونة وديعة عند القاضي الأمين عمروس حتى يعود.. لم يخطر للقاضي أن يستأذن المؤلف في استنساخها حين ذاك، ولكنه فكر في نفسه، ورأى أنه إذا لم يغتنم هذه الفرصة فإن هذه الثروة العلمية سوف تفلت من يديه، واستعد للعمل، أحضرت له أخته كل ما يحتاج إليه من ورق وقلم ومداد، وكانت تملي عليه وهو يكتب في فناء الدار حتى إذا وصلتهما الشمس تحولا إلى الظل، ولم يمض عليهما وقت طويل حتى أتما نسخها، ورجع صاحب الوديعة (بشر بن غانم) يطلب وديعته فأرجعها إليه عمروس، ولكن بشراً كان يتوقع هذا العلم من عمروس، ولذلك عندما تصفحها ظهرت له آثار النقل في قطرات المداد واستعمال الصحائف، فقال لعمروس وهو يبتسم: (لقد سرقتها) فأجاب القاضي – وهو جذلان–: (سمني سارق العلم) وفي إثر هذا كان ما كان من تلف المدونة في تيهرت غصبا وحرقا، ولولا حرص عمروس وأخته على نسخ هذه المدونة لم يبق لأهل المذهب بجهات المغرب ديوان

يعتمدون عليه.

والعلم يكون فائدته بقدر ما يفيد صاحبه، فليس العلم النافع شحن الدماغ بالمعلومات بدون أن يكون لها أثر في حياة الإنسان، بل العلم النافع هو الذي يجد فيه حلاً لمشكلاته ونفعاً في دنياه وآخرته، فعندما ذهب عمروس إلى الجهاد وكانت وقعة (مانو) رافقته أخته إليها، واستشهد أخوها، وقتل أكثر الجيش، أخذت أسيرة مع بعض زميلاتها فخافت الفساد؛ فقالت لزميلاتها: (أما وقد وقعنا أسيرات ولا قدرة لنا على الخلاص من أيدي هؤلاء الوحوش فلنستخلف كل واحدة منكن من يزوجها بمن يريد بها سوءا) وهكذا حتى في أسوء الأحوال ينجدها العلم والدين.

فهذه المرأة العاملة سيظل التاريخ يذكرها، ولن ينسى فضلها في حفظ مدونة العالم الجليل بشر الخراساني.

** ** **

(53/1)

الزهراء السقطرية

هي فاطمة بنت حمد بن خلفان بن حميد الجهضمية، ولقبها الزهراء، نشأت في سمد الشأن، ذهبت مرة مع والدها لزيارة نسيبهم الوالي القاسم بن محمد الجهضمي السمدي في جزيرة سقطرى، يوم كانت تابعة لعمان، وذلك في زمن الإمام العادل الصلت بن مالك الخروصي رحمه الله، وحدث أن نكث النصارى وخانوا العهود في هذه الجزيرة، فقتلوا واليها القاسم بن محمد وسلبوا ونهبوا وأخذوا الجزيرة قهرا.

فكتبت الزهراء قصيدة عصماء تستغيث بالإمام وتستنجده، وتطلب منه أن يسارع بنصرة المسلمين، وتستثير في أبيات قصيدتها همة الإمام الصلت بن مالك ومن معه من الرجال لنجدة الإسلام وشرعه وأهله في جزيرة سقطرى، تقول فيها ما نصه:-

... ... قل للإمام الذي ترجى فضائله ... ... ابن الكرام وابن السادة النجب

... ... أمست سقطرى من الإسلام مقفرة ... ... بعد الشرائع والفرقان والكتب

... ... وبعد حلال صار مغتبطا ... ... حي في ظل دولتهم بالمال والحسب

... ... لم تُبقِ فيها سنون المحل ناضرةً ... ... من الغصون ولا عوداً من الرُطَبِ

... ... واستبدلت بالهدى كفراً ومعصيةً ... ... وبالأذان نواقيساً من الخشب

... ... وبالذراري رجالاً لا خَلاَقَ لهم ... ... من اللئام علوا بالقهر والغلب
... ... جارَ النصارى على واليكَ وانتهبوا ... من الحريم ولم يألوا من السلب
... ... إذ غادروا قاسماً في فتيةٍ نُجُبِ ... عقوى مسامعهم في سبسبٍ خرب
... ... مُجدّلين سِراعاً لا وساد لهم ... ... للعاديات لسبعٍ ضارئ كلب ... ...
... ... وأخرجوا حُرم الإسلام قاطبة ... ... يهتفن بالويل والأعوال والكُربِ
... ... قل للإمام الذي تُرجى فضائله ... ... بأن يغيث بنات الدين والحسب
... ... كم من مُنعمةً بكرٍ وثيبةٍ ... من آل بيتٍ كريم الجد والنسب
... ... تدعو أباها إذا ما العِلجُ همّ بها ... ... وقد تلقّف منها موضع اللبب
... ... وباشر العِلجُ ما كانت تَضُنُ به ... ... على الحلال بوافي المهر والقهب
... ... وحلّ كلَ عراءٍ من مُلمتها ... ... عن سوءةٍ لم تزل في حوزةِ الحُجُبِ
... ... وعن فخوذٍ وسيقانٍ مدملجةٍ ... ... وأجعدٍ كعناقيدٍ من العنب

(54/1)

... ... قهراً بغير صداقٍ لا ولا خُطِبت ... ... إلا بضرب العوالي السُمرِ والقُضُبِ
... ... أقولُ للعين والأجفان تسعدني ... ... يا عين جودي على الأحباب وانسكب
... ... ما بال صلتٍ ينام الليلَ مُغتبطاً ... ... وفي سقطرى حريم عُرضة النهب
... ... يا للرجال أغيثوا كل مسلمةٍ ... ... ولو حبوتم على الأذقانٍ والرُكبِ
... ... حتى يعودَ نصاب الدين منتصباً ... ... ويهلك الله أهل الجور والريب
... ... وثم يصبح دعى الزهراء صادقة ... ... بعد الفسوق وتحيى سنة الكتب
... ... ثم الصلاة على المختار سيدنا ... ... خير البرية مأمونٍ ومنتخبِ

وما أن وصلت الإمام تلك القصيدة إلا فعلت فعلها في نفسه؛ فثار ثورة الضرغام، وصال صولة الغضنفر المقدام، وقام بكل ما يفرضه عليه منصبه وواجبه من عمل، فجهز جيشاً قوامه مائة سفينة مجهزة بالعدة والعتاد، وعين عليه خيرة المجاهدين الشجعان، وزودهم بكتاب عبارة عن دستور تنظيمي ينتهجون نهجه إداريا ودينيا، وبحمد الله تم النصر للجيش المسلم، فأصبح العدو بين قتيل وجريح وأسير، فأخذوا البلاد وهزموا الأعداء ورجعوا ظافرين مستبشرين ومن ينصر الله ينصره.

وهكذا خلد التاريخ اسم الزهراء كما خلد سيرة الإمام المجاهد الصلت بن مالك الخروصي

رحمه الله تعالى، فمن لنساء المسلمين الآن في شرق الأرض وغربها وهن يتجرعن مرارة الذل والهوان على أيدي الطغاة والمستبدين والمجرمين، فكم من زهراء تستغيث اليوم ولا صلت لها.

** ** **

الغاية زوج أبي القاسم يزيد بن مخلد

لقد آتاها الله قلبا صافيا يلهمه الحكمة، ونفساً مطمئنة تزكيها الفطنة، وذهنا متوهجا فتح له أكمام الوعي، وامتلكت مواهب وقدرات مما أهلها أن ترتقي إلى أن تكون ملجأ يلجأ إليه العلماء لحل معضلاتهم، فهيا بنا نتعمق في أغوار هذه الشخصية الطاهرة الباهرة.

(55/1)

بعد أن أتم العالم أبو القاسم دراسته واستعد للحياة التي يحياها الناس، فكر في الزواج، وبحث عن امرأة تجمع بين الخصال التي يطلبها أمثاله من خلق ودين وعلم، فوجدها في فتاة من أسرة كريمة كانت تسمى الغاية لها من الجمال والخلق والدين والعلم ما يرشحها لأن تكون زوجة لأبي القاسم.

فخطبها من أهلها وزفت إليه بعد سنة من بلوغها، فكانت تحضر دروسه مع تلاميذه من وراء ستار، وكانت الغاية في بيت أبي القاسم مرجعاً للمؤمنات ومرشدة وهادية للفتيات وقدوة صالحة للمقتديات الصالحات.

كان أبو القاسم يحدث طلابه يوما يحرضهم على الدراسة، وينصحهم بالابتعاد عن كل ما يشغلهم عن التعليم، فقال لهم: (لأن يبلغني موت الطالب خير من أن يبلغني تزوجه) وكانت زوجته الغاية تستمع إليه من وراء ستار فقالت له: (لماذا تزوجت إذن؟) فقال لها: (لو علمت مسألة ليست عندي لشددت إليها الرحال، وتركتك أيتها الزوجة الحبيبة).

وعندما توفي أبو القاسم بقيت الغاية مقصداً لطلاب العلم والدين والخلق القويم، وكان العلماء والمشايخ يزورونها ويستشيرونها ويستفتونها، ويرجعون في كثير من الأحيان إلى رأيها، وكثيراً ما يلجأ إليها عالم من كبار العلماء في معضلة من معضلات علم الفقه أو علم الكلام، فيقول لها: (ماذا كان رأي القاسم فيها أو ماذا حفظت عن زوجك؟)، وهكذا ظلت ملاذاً لطلاب العلم والعلماء إلى أن اختارها الله عز وجل راضية مرضية.

** ** **

غزال (أم أبي الحاتم)

غزال هي زوج الإمام أبي اليقظان محمد بن أفلح، وكانت أحب نسائه إليه، فقد امتلكت قلبه بقوة شخصيتها، وبالربيع الضاحك في محياها وبصفاء طويتها وحسن قيامها بالبيت، فكونت لأبي اليقظان فيه جواً مفعماً بالحنان ينسيه هموم الرئاسة ويستريح فيه من أتعاب الإمامة، وكانت لحزمها كما قال ابن الصغير: (مالكة لأمور أبي اليقظان وحشمه).

(56/1)

امتازت غزال بذكائها، وثقافتها النسوية وحسن قيامها بالدار وبراعتها في إدارته وحياء الدين الذي كان في محياها ونورها وإشراقها فكانت نجمة متلألأة، وبتميزها تميز طفلها يوسف، فكان ذا شخصية قوية جذابة واتصف بمزايا حببته إلى أبيه، اهتمت غزال بتربية ابنها يوسف تربية إسلامية بناءة حتى أصبح ولدها معيناً لوالده في شؤون الإمامة، وأخذ والده يكلفه بمهمات الدولة فيحسن القيام بها، وبدأت كفاءته ونبوغه تظهر، واتصف بالحزم والذكاء والشجاعة حتى اختير إماماً من بعد أبيه، بفضل إحسانه إلى الناس.

لقد كانت غزال قدوة صالحة للزوجة المخلصة لزوجها، ونبراساً للأم المربية، لقد عاشت مع إمام العدل والعلم وأنجبت ذلك الإمام الفذ أبا حاتم.

** ** **

الفصل الرابع

(400هـ – 450هـ)

* نانا تابر كانت السدراتية
* زوجتا أبي هارون موسى بن هارون
* عافية (أم ماطوس).
* زينب بنت أبي الحسن

(57/1)

امرأة ربانية عاشت في تلك العصور العامرة بالإيمان والعلم والخير، سكنت (ابناين)، واشتهرت بين العلماء فكانت عالمة فاضلة بلغت من اعلم والورع ما جعلها ملاذاً للمشايخ والعلماء العاملين، ومما يدل على علم نانا تابر كانت وعمق إطلاعها وفهمها لأسرار الشريعة، أنه زارها جمع من العلماء فقالوا لها: (أوصنا يا عجوز) فقالت لهم: (إياكم وكثرة الكلام لئلا تحنثوا، وإياكم والتهمة لئلا تظْلِمُوا) ثم قالت لهم: (يقول بعض العلماء الحكماء: نقِّ العمل فإن الناقد بصير، وجدد السفينة فإن البحر عميق، وكثرة الزاد فإن السفر بعيد) ثم حذرتهم عن الزيارة لطلب الحوائج، والمصافحة بالمقارعة، والأكل أكل النهم، والمشي مشي المرضى، والنوم نوم الموتى. فهنا تصحح هذه العجوز بعض السلوكيات المنحرفة؛ فالزيارة إذا كانت في الله فهي أكثر خيراً، والمصافحة فيما بينهم يجب أن تكون بالتي هي أحسن لا بالفوضى والعنف؛ فتتحول إلى كراهية، وتنهاهم عن كثرة الأكل؛ لأنه من عمل البهائم، وتحثهم على أن يسيروا بمشية الأقوياء المتواضعين، والذين يكثرون النوم فهم يعدون من الأموات لا من الأحياء فالإنسان النشيط لا ينام إلا بعد الحاجة.

كان لعلمها العميق ولخبرتها الواسعة التي حنكتها بها الحياة دور في سبر أسرار النفوس، فأثرت عنها حكم وأقوال بليغة، فمن ذلك قولها: (شر الصدور صدر لا رأفة فيها، وشر الأقدام قدم لا تزور في الله، وشر البيوت بيت لا يدخله المسملون، وشر المال مال لا ينفق منه).

** ** **

زوجتا أبي هارون

موسى بن هارون

(58/1)

كان لأبوي هارون امرأة صالحة يحبها وتحبه، وكانت عالمة ذكية ولمنها غير ولود، ونصحه المشايخ أن يتزوج غيرها عسى أن يرزقه الله أولادا صالحين ففوض إليهم أمر الاختيار، ووكّلهم القيام بهذه المهمة وكل ما اشترط عليهم أن يتوفر فيها من الصلاح والتقوى، وتشاور المشايخ ودرسوا الموضوع واستعرضوا عقائل الجبل– جبل نفوسة– فاتفق رأيهم ووقع اختيارهم على امرأة فاضلة.

(59/1)

ترى من تكون هذه المرأة التي اتفق المشايخ على اختيارها زوجة لأعظم رجل في ذلك الحين؟ إنها ابنة جدة المشايخ السيدة (تابر كانت) أعظم امرأة في الجبل وأصلحها، فهي فرع من شجرة العلم الباسقة التي ارتوت بماء الحكمة وتغذت بثمرها وجناها وقطوفها، بذلت الجدة تابر كانت جهدها في تربية ابنتها على الخلق الكريم والدين القويم وزودتها بالعلم النافع الذي يكون نفعه في الدنيا والآخرة وثقفتها الثقافة الهادفة التي تؤهلها للقيام بدورها ومشاركة الرجل في أهم الميادين بالرأي والنصيحة، وعرض الأمر على الفتاة فقبلت الفتاة ورضي الشيخ وزفت العروس الصالحة إلى العالم المؤمن، ورزقها الله عز وجل منه بعدد من الأولاد أقروا عين والدهم الشيخ وخدموا الأمة بإخلاص، وأخذت هذه الأم على عاتقها تربية أبنائها ليكونوا مناراً للأمة ونبراساً يقتدي بهم الناس فكان منهم أبو زكريا يحيى: الذي كان همه آخرته وقد جمع جميع خصال الخير، ومن أقواله: (لا أبالي بالموت متى نزل بي) لبيان قوة استعداده له، ومات وهو شاب عمره أربع وعشرون سنة، أما ابنها أبو الربيع، فقد كان سخي الكف عالماً شديداً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فأخذ العلم عن أبي يحيى زكريا بن سفيان اللالوتي وغيرهم، جمع إلى العلم الواسع والدين القويم والخلق الكريم شدة في الحق لا تلين ومحافظة على دين الله لا تفتر، وسيرة صالحة لا تضعف، فحقيق بنا أن نذكر هذه المرأة الصالحة في تاريخنا وسيرنا؛ إنها ابنة أعظم امرأة في الجبل وأصلحها، وزوجة أفضل علماء أهل نفوسة وأم أولئك الأعلام البررة.

** ** **

عافية (أم ماطوس)

(60/1)

تربت هذه المرأة في حجر الدين، ونمت في رياض طاعة الله عز وجل، وتألق وجدانها في حرم مجالس العلم، وكانت حريصة على حضور هذه المجالس؛ لشغفها بالمعرفة والتفقه في أمور الدين حتى أصبح مشايخ العلم لا يعقدون مجلساً إلا بحضورها، كان اسمها عافية ولكن كنيت بأم ماطوس، طلبت العلم ببلدها بليبيا، ودرست على يد علمائها حتى لم تجد عندهم جديداً فرغبت في الالتحاق بمدرسة أبي محمد بن خصيب، وليس بالمدرسة قسم داخلي للبنات وبين البلدين مسافة طويلة لا تقل عن أربعة أميال، فعرضت أمرها على أهلها فعارضوها، ولما ألحت في الطلب ثارت ثائرتهم، وقرروا أن يمنعوها بالقوة، وكيف يسمحون لفتاة في عمر الزهور ان تقطع تلك المسافة الطويلة يوميا بمفردها، وكان أصلب الجميع في الموضوع أخوها الغيور؛ فتطوع أن يحبسها ويقوم بوظيفة السجان، فكان إذا أتى الليل أغلق الباب على أم ماطوس ونام على الباب، فكانت تتركه حتى ينام، فتفتح الباب وتغلقه خلفها فتأخذ مزراقها في يدها، وتذهب إلى مدرسة أبي محمد التمصمصي، فتحضر المجلس متلحفة بثوبها فإذا افترق المجلس رجعت، وتجعل مزراقها في زيتونة ثم تدخل البيت وتغلق الباب وكأن شيئاً لم يكن، وكان ذلك دأبها، فلم تنجح جميع هذه الوسائل في صدها عما رغبت فيه، ودرست في تلك المدرسة حتى تخرجت منها، وكانت فيما بعد مرجعاً من مراجع العلم والفتوى.

وقضى الله لها أن تتزوج في (مرساون)، فكان المشايخ لا يعقدون مجلساً إلا بحضورها، فتحضر المناقشات وتسمع آراء الأعلام، وكثيراً ما تكبدت مشاق السفر وهي حامل لتحضر المجامع التي تعقد في (أجناون) أو غيرها من الأماكن التي يختارها المشايخ للاجتماع.

(61/1)

وكان لا يعوقها عن حضور تلك المجالس عائق، فقد ذهبت في إحدى المرات إلى أجناون، وهي على بعد عشرة أميال عن منزلها مصطحبة معها أمتهاْ، كانت ورعة في دينها حافظة لحقوق زوجها يروى أن أحد المشايخ أراد المبيت في بلدة أم ماطوس، فلما وصل أرسل بغلته إلى أم ماطوس؛ لينزل عندها فردتها، ثم أرسلت إليها بعد فأخذتها، واعتذرت للشيخ عند العشاء بأن زوجها غائب حين بعث ببغلته فلما جاء استأذنته فأذن لها.

هذه المرأة العالمة لم يمنعها حجابها من الجلوس في مجالس المشائخ تستمع إليهم وتسائلهم وتستجيب لنقاش الطلبة وترد عليهم، ولم يمنعها حياؤها من بلوغ هذه المرتبة السامية من العلم بل زادها العلم مزيداً من الاجتهاد في طلبه.

فما أروع أن تسطر حياة هذه المرأة في أجمل صفحات التاريخ، لتكون قدوة صالحة لكل فتاة في تحمل المشاق وعناء الطريق ومعارضة الأهل من اجل البلوغ إلى الهدف النبيل وهو طلب العلم.

** ** **

زينب بنت أبي الحسن

(62/1)

هي زوج العلامة أبي الخطاب عبد السلام منصور المزاتي، كانت فتاة وافرة الدين والأدب والجمال، واستقر بها الحال في مدينة (درجين)، ولم يكن ينقص أبا الخطاب شيء إلا أن يرزقه الله تعالى ولداً ذكراً يكون له عوناً في شيخوخته يرثه ويحمل اسمه، وإنما رزقه الله عدداً من البنات، وعندما يجمعه وزوجته السمر كان كثيراً ما يقول لها في مداعبة ورجاء أن تفهم ما يرمي إليه: (يوشك أن يغلب بنو العم على بناتك يا زينب) وهو يقصد أن أولئك البنات عندما يكبرن يخطبهن أبناء العم فيتزوجن، ولا يبقى في البيت غيرهما، وما أشد وحشة بيت لا يسكنه غير شيخين هرمين، كانت الزوجة الوفية المحبة زينب تفهم ما يرمي إليه زوجها أبو الخطاب، وكان بجوارهم رجل من بني ورغميت مع عياله، وعندهم فتاة صبية أديبة نشيطة، وكانت ذات جمال بارع، فأعجبت بها زينب وأحبتها، فخطبتها لزوجها الشيخ، وهي تدعو أن يهب له ولداً تقر به عينه، ولبناتها أخاً يلج | أن إليه إذا ضاقت بهن سبل الحياة، وتزوج الشيخ هذه الفتاة الورغمية وكان مولودها البكر ذكراً سماه الشيخ سعيداً، ومن هذا الولد تناسلت ذرية العلامة أبو الخطاب عبد السلام، فكان في رأيها الخير والبركة واليمن.

** ** **

الفصل الخامس

(450هـ – 500هـ)

* طوست زوجة أبي عبد الله محمد بن تامر

* أم ماكسن
* أمة الواحد
* عائشة بنت معاذ بن أبي علي

طوست

زوج أبي عبد الله محمد بن تامر

إنها شخصية فريدة مميزة في تاريخ المسلمات الإباضيات علماً وسلوكاً، أعطاها الله نوراً في البصيرة وضياءً في القلب حتى كان قلبها أشبه بمرصد يستقبل نفحات الله وأنوار الإيمان، فامتلأ كيانها صفاء ونقاء وشفافية وروحانية، جمع الله تعالى لها بجانب العلم والتقى والعبادة والورع شرف خدمة ولي من أوليائه، فشرفت بالزواج من أبي عبد الله محمد بن تامر وكان شيخاً فاضلاً وعالماً تقياً يسكن (فزاوة).

(63/1)

ومما يدل على عبادتها وورعها وأداء حق زوجها، ما أوصت به ابنتها حين جهزتها للزفاف، فقالت لها: (ما نمت حتى أصلي خمسين ركعة، ولم يرني والدك عابسة قط، ولم تصدر مني كذبة عليه قط إلا مرة واحدة، وهي أن قلت لأبيك أبي عبد الله وقد سألني أعلفت البغلة، وقد تعب وهو صائم ولا يفطر حتى تعلف مطيته، وقدمت له فطوره، قلت: نعم، وزدت للبغلة في علفها وآتيتها به، فقلت: (اجعليني في حل فيما كذبت عليك، وقد زدتك في علفك) فأومأت برأسها شبه من يقول أنت في حل.

وقد كانت داعية بسلوكها الرفيع وعلمها الواسع فتأثرت بها خادمتها أم خليفة، فكانت سبباً في هدايتها وتبصيرها بعقيدة الإسلام الحق، فرجعت إلى عقيدة أهل الاستقامة بعد أن كانت حشوية، وأصبحت من خيار المسلمات الورعات التقيات.

** ** **

أم ماكسن بن الخير

(64/1)

عاشت هذه المرأة في عاصمة الدولة الصنهاجية في البلاد التونسية، توفي عنها زوجها وترك لها ابناً اسمه ماكسن، فهي والدة العلامة ماكسن بن الخير، وهي صاحبة الفضل عليه، وكان من أمر ولدها ماكسن أنه أصيب بالعمى وهو طفل؛ فجهدت بكل وسيلة لتجد دواء له ما استطاعت لذلك سبيلا، وكانت لا تفتر عن السؤال عن دواء يرد البصر لوليدها فما اهتدت، وكانت ذات مرة في بيت أم يوسف زوج المعز بن باديس سلطان أفريقيا، فكانت أم يوسف لا تنفك تنظر ماكسن، وتتأمله فأعجبت بذكائه وخفة روحه، ونصحت أمه بأن تأخذه إلى الكتّاب ليتعلم فتنبهت الأم لذلك وتداركت أمرها؛ فأدخلت ابنها ماكسن مدرسة المدينة وحفظ القرآن الكريم في وقت قصير، وبذلت الأم جهدها من أجل تعليمه وتفرغت له وفرغته للعلم والدراسة، وبعد أن كبر سافر إلى مدرسة أبي محمد وسيلان بن أبي صالح بجربة بتونس، وكان أنجب وأذكى طلابها، وكان كل من رآه يستغرب من براعته وكثرة حفظه إلا أنه كان سريع الغضب، حاد الكلام وشكى الطلبة إلى أستاذهم أبي محمد من ماكسن، فسألهم ما يشكون منه، قالوا: (نشكو منه الخفة) فقال لهم: (لقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بم تكون الخفة في المؤمن؟) فقال لهم: (لغزارة في قلبه) وكان أبو محمد يقول لهم: (والله لا أسمع قولكم فيه ولا أقبله) لما تفرس فيه من الخير والبر وجدية في طلب العلم. وظل في دراسته، فاجتهد حتى أصبح عالماً وفقيهاً وإماماً يسعى إليه العلماء، ولم يقعده العمى واليتم عن التعلم والدراسة، فبفضل الله ثم بفضل نصيحة أم يوسف وبفضل بذل الأم الجهد لتعليم ولدها، أصبح ولدها ماكسن ممن يملك إرادة قوية وصدق عزيمة دفعاه إلى أن يتفوق بأعماله المبصرين، ويصبح ذلك العالم الفقيه الذي عوضه الله عن فقد بصره نوراً في البصيرة وضياء في القلب يرى بقلبه ما لا يراه المبصرون بأعينهم.

** ** **

أمة الواحد

زوج أبي عامر التصراري

(65/1)

أمة الواحد امرأة مؤمنة صالحة يجمعها إلى زوجها العالم أبي عامر حب وعطف وحنان وتشابه في الميول والعواطف والأعمال، حدث أن جاءت يوماً عجوز من (تندميرة) إلى (تصرار) تشكو

إلى أبي عامر ابنتها الشابة اليتيمة وتدعى (توزين)، وإنها ترفض الزواج خشية حقوق الزوج وخوفاً من المسؤولية في الأسرة، وخافت العجوز على ابنتها أن تتركها في يوم من الأيام دون رعاية أحد، فعطف عليها الشيخ واجتمع بالمشايخ، وذهبوا إلى تندميرة لإقناع الفتاة فاقتنعت، وكانت مفاجأة أن اختارت أبا عامر ليكون زوجاً لها فوافق، ورجع أبو عامر إلى زوجه الحبيبة أمة الواحد بأثقل خبر على المرأة، ورجاها أن تستعد للقاء الزوجة الثانية، فما أخلفت ظنه وقامت تعد في منزل الشيخ ما يعد للعروس في أول الزفاف واستقبلتها استقبال الأخت المحبة.

إن لأمة الواحد قلباً وعاطفة جياشة كما لسائر النساء، وهي تحب زوجها أبا عامر، ولكن لها مع ذلك دين يعصمها من النزق، ويمنعها أن تتعدى حدود الشريعة، وعاشت الزوجتان تحت كنف أبي عامر يرعاهما بلطفه ويغمرهما بحبه ويساوي بينهما بعدله.

ويحكى أن أمة الواحد ذات يوم ذهبت لتجمع الحطب من بعض البساتين، فوسوس لها الشيطان أن الشيخ قد تغدى مع الزوجة الشابة، وتركا لها لقمة باردة في ناحية من البيت، فتعوذت من الشيطان وزادت الحطب إلى حزمتها لترغم أنف الشيطان، فلما رجعت إلى الدار وجدت الزوجين قد تغديا وتركا لها نصيبها في إناء، فرجع إليها الخاطر من جديد فدبت الغيرة في نفسها واصفر لونها، ونظر إليها زوجها أبو عامر بحنان وعطف ورآها متغيرة الوجه، فقام، فقام إليها وأمسك بطرف كمها، وقال كمن يخاطب الشيطان: (اخرج يا عدو الله من جسد طاهر) فاستعادت رشدها وأبعدت وساوس الشيطان ببركة دعاء زوجها وزالت الغيرة من نفسها، وهكذا عاشت أسرة أبي عامر في ظل الإيمان وطاعة الله عز وجل في منزل يغمره الحب والتعاون والتفاهم.

** ** **

عائشة بنت معاذ بن أبي علي

(66/1)

ما أحرى بالتاريخ أن يقف قليلاً متأملاً عظمة هذه المرأة الجليلة، وحسبها عراقة في الدين إنها ابنة العالم الجليل معاذ وأخاها أشهر من نار على علم، لقد ولدت في بيت يتلألأ بالدين الحنيف ويتعطر سماه بعبق تعاليمه السمحة، وتتهادى فيه ملائكة الرحمة.. في هذا المناخ

الطاهر الباهر نشأت عائشة نشأة مباركة زكية.

كانت أسرة العالم الصالح معاذ بن أبي علي في مدينة (آجلو)، مدينة الصلاح والعلم والعمل، وكانت أسرة دين وعلم وفضل وخير نساء هذه الأسرة ابنته النجيبة عائشة، حفظت القرآن الكريم وهي صغيرة السن، وتفتح عقلها الذكي لمزيد من المعرفة، فلم أبدت عليها ملامح الأنوثة والجمال ونضارة الشباب، طلبت من أبيها أن يشتري لها حصيرا من النوع الخفيف غير عريض، وطلبت من أمها أن تحضر لها عباءة، بعدها أقنعت والدها برغبتها في الاستمرار في طلب العلم على يد المشايخ، فوافقا على ذلك، فكانت تذهب إلى المجامع العلمية متلحفة في عباءتها الساترة الحاجبة، فإذا بلغت المجالس وجلست قريبا من شيخها، استترت بالحصير وتخفت بعباءتها فكان شخصها مفصولا عن الحاضرين لا تراهم ولا يرونها، ولكنها تسمع وتناقش وتكتب ما تشاء في حرية كاملة، فقد انطبق على عائشة قول الشاعر:

... ... فاطلب من العم مما تقتضي به ... ... واعمل بعلمك مضطرا ومختارا

... ... واطلبه ما عشت في الدنيا ومدتها ... ... في موقف العرض أن لا تورد النارا

... ... واجعله الله لا تجعله مفخرة ... ... ولا ترائي به بدوا وأحضارا

(67/1)

وقد منّ الله على عائشة بعقل متفتح وذكاء متقد وفهم عميق للعلم، فدرست علم الكلام على يد العلامة الكبير تبغورين بن عيسى الملوشطي، وغيره من المشايخ في شبه تخصص تأخذ عن بعضهم علوم الشريعة والأصول، وتدرس عند بعضهم التاريخ والرياضيات وفروع الثقافة المعروفة في ذلك العصر، وتأخذ عن غيرهم علوم اللغة والأدب، وكانت ترى أن تعلم اللغة وآدابها وما تقوم عليه من نحو وصرف لا بد منه حتى يتسنى للمسلم كتاب الله وسنة نبيه الكريم، وظلت تنهل من هذه العلوم المختلفة حتى بلغت مكانة سامقة في العلم، واشتهرت بين أهل العلم بمعارفها الواسعة وإطلاعها الواسع، فصارت تميز بين مراتب العلماء وتقارن بينهم، وكانت تقول: (رأيت كثيراً من العلماء وأهل الخير، واستمعت إلى عدد منهم واستفدت، ولولا أبو العباس لمت على الجهل).

كانت عائشة مثالاً للمرأة المسلمة المتعلمة المستنيرة التي تشارك الرجل في جميع الميادين الثقافية دون أن تتخلى عن رسالتها كأم ترعى أولادها، وكزوجة تصون نفسها وبيتها وتحفظ زوجها في نفسها وماله وبيته وتوفر له وسائل الراحة والسعادة والاستقرار، فلم يمنعها خمارها وثوبها الساتر الفضفاض من مناقشة أذكى الطلاب والتفوق عليهم، ومناقشة كبار العلماء في

أدق المسائل، وصلت إلى تلك المكانة العالية من العلم دون أن تلقي عنها ثوب الحياء والحشمة، فكانت نبراساً لكل امرأة صالحة مؤمنة مجتهدة في طلب العلم.

** ** **

الفصل السادس
(1000هـ – 1030هـ)

* عائشة بنت محمد العبرية
* عائشة الريامية
* راية البيمانية
* ماما ستي
* أم الشيخ صالح بن علي الحارثي
* ستي بنت عمر نتموستي
* عائشة بنت الناصر محرزي
* سليمة الصقرية
* شمسة الخليلية
* عائشة بنت مسعود العامرية
* نقية بنت عامر الحجرية
* مامة بنت عبد العزيز
* عائشة بنت عمر بن سليمان
* مامة بنت سليمان

عائشة بنت محمد بن يوسف العبرية

(68/1)

هذه المرأة السخية عرفت معنى الاستخلاف في المال فلم يبهرها بريق الذهب والفضة، كان إشراق قلبها وسمو روحها يجعلانها في عالم مضيء بالسكينة والارتفاع عن مغريات الحياة،

لقد كانت نهراً متدفقاً بالجود والعطاء، لقد اشترت بمالها الفاني الثواب الباقي الذي ستلقاه – إن شاء الله – ثوابا عند الله في جناته، فهيا بنا نستجلي سيرتها العطرة.

هي الابنة الوحيدة التي خلفها الشيخ محمد بن يوسف العبري، وقد تزوجها الشيخ سالم بن خميس بن عمر العبري، نشأت البرة التقية الحرة المرضية عائشة في بيت أدب وعلم، وتربت تربية صالحة، وساعدها على ذلك البيئة العلمية والدينية التي ترعرعت فيها، اتصفت بالزهد وكثرة العبادة والإسراع في الخير طلباً لما عند الله من عظيم الأجر والثواب. ومن آثارها التي ما زالت موجودة في ولاية الحمراء:

... 1– بناء مسجد الصاروج المسمى الآن بـ (مسجد السحمة)، وسمي المسجد بالصاروج لأنه بني بالصاروج والحجارة.

... 2– أوقفت لإصلاح هذا المسجد أثر ماء من فلج العراقي بعبري.

... 3– أوقفت بستاناً كثير النخل مع ما يحتاجه من الماء لعمل خل يكفي لعامة أهل الحمراء.

... 4– وما يفضل من ثمر ذلك البستان من الخل أوقفته لمسجد الصلف في بلدة الحمراء لفطرة الصائمين، ولإصلاح مسجد الصاروج أيضاً.

...

لقد امتثلت هذه المرأة الفاضلة لنصيحة الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام حين كان يكثر من أمر النساء بالصدقة ويحضهن عليها، وذلك في قوله صلى الله عليه وسلم: (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له)، والوقف هو عين الصدقة الجارية.

** ** **

عائشة الريامية

إن الإنسان ليقف مبهوراً أمام سيرة هذه الفقيهة العابدة التي استطاعت أن تتبوأ درجة من العلم، حتى أصبحت فقيهة يفِدُ إليها طلاب العلم من كل حدب وصوب ليستفتوها فيما أشكل من أمور الدين، وغمض من أحكام الفقه، فهيا بنا نتعرف على هذه العالمة الفقيهة.

هي عائشة بنت راشد بن خصيب الريامية البهلوية، سكنت حارة الغاف من بهلا، عاشت في عصر اليعاربة في أواخر القرن العاشر، وبداية القرن الحادي عشر الهجري، وقد عاصرت ثلاثة من أئمة عمان وهم: الإمام بلعرب بن سلطان بن سيف اليعربي، والإمام سيف بن سلطان اليعربي، والإمام سلطان بن سيف الثاني، اتصفت هذه البرة الرضية بالزهد والورع والتقى، وقد تتلمذت على يد كبار المشايخ والعلماء في عصرها، وقد أعطاها الله قوة في الذكاء، وعمقاً في الفهم، فاشتهرت بقوة علمها وغزارة إطلاعها، وبرزت في مجال الفتوى والفقه.

وبالإضافة إلى مكانتها العلمية فقد كان لها دور سياسي جسيم، حيث يذكره عبد الله الطائي بقوله: (ولقد شاركت هذه العالمة الجليلة في توجيه الحكم في عصر اليعاربة في عمان، فبعد أن خرج سيف بن سلطان على أخيه الإمام بلعرب طالباً توسيع النفوذ الخارجي ومطاردة البرتغال، في حين اهتم أخوه بالإصلاحات الداخلية، تمكن سيف من الاستيلاء على الحكم بعد وفاة أخيه في الحصن الذي حوصر فيه، فبويع من قبل الكثيرين إلا أن الشيخة بنت راشد رفضت مبايعته، وأصرت على أن يلزم بيته أولاً، وأن يبتعد عن الحكم، ثم ينظر في ذلك من قبل أولي الرأي في البلاد، ولم يستطع سيف أن يعارض هذه المرأة فيحدث لعهده ثغرة بعدم انتخابه، فترك مقر الحكم فعلا ولزم بيته يومين، حتى أرسلت هذه المرأة المسلمة إليه، وناقشته بجانب جماعة من أعيان البلاد في مخالفته لأخيه ثم بايعته على أساس الجهاد والعمل على الإصلاح، وبذلك عاد إلى ممارسة الحكم، وأصبح من بعد في طليعة أئمة عمان حتى سمي بقيد الأرض لسعة نفوذه).

(70/1)

وقد جُمّعت فتاواها في مجلدين تحت اسم جوابات الشيخة عائشة، ولعل لها مؤلفات أخرى في مجال الشريعة الإسلامية، ولكن للأسف فإن مؤلفاتها تلاشت، وكانت هذه المؤلفات توجد بالمكتبات في ولاية بهلا كأمثال مكتبة آل معد، ومكتبة آل مفرّج، ومكتبة الشيخ سالم بن راشد بن ربيعة العوفي الذي كان يسكن حارة الحدّاد بولاية بهلا، وروى جواباتها بعض العلماء مثل العلامة جميل بن خميس السعدي في كتابه (قاموس الشريعة)، وذكر فيه أنه قد أدركها وحفظ عنها.

ونقل بعض جواباتها في كتابه المذكور منها ما نصه:

... (عن الشيخة ابنة راشد للضيف إذا كان أكله وحده أكثر مما أن كان رب الطعام حاضرا عنده استحيا منه أو تضيعا لأدب ومذهب أيسعه ذلك، ويكون سالما أم لا؟

... الجواب: إنه كان يأكل معه على أي حال، وأما في حسن الخلق فلا يأكل معه إلا أن يكون من الكبراء، والله أعلم).

وليس بعجيب إذن على امرأة بلغت درجة الفتوى أن تكون مهتمة باقتناء الكتب، ومما يؤيد ذلك إطلاعنا على مخطوطة لكتاب المحاربة للشيخ بشر بن محبوب بن الرحيل رحمه الله – وقد كتب في آخر المخطوطة: (كتاب المحاربة – للشيخة التقية الرضية المرضية العالمة الزاهدة عائشة بنت راشد بن خصيب الريامية البهلوية) وهذا الكتاب يقع في أربعة وثمانين باباً، تتضمن أبواباً في العقيدة الصحيحة كالولاية والبراءة وما لا يسع جهله وما يسع جهله وغيرها، وأبواباً أخرى متفرقة كالإمامة والجهاد والدعاوى والقذف وذكر بعض الطوائف الضالة وغيرها من الفروع المهمة في الدين.

(71/1)

ولم تكتف الشيخة عائشة باقتناء الكتب التي يصعب امتلاكها في ذلك الوقت فحسب، ولكنها رأت أيضا أن نسخ الكتب له أهمية بالغة في حفظها من الاندثار، وذخراً للأمة عند تقلب الدهور والأزمنة وبقاءً للعلم، فطلبت من مسعود بن راشد بن حرمل بن مرشد المعمري الخروصي نسخ كتاب جوابات الشيخ أحمد بن مدّاد النزوي الذي هو من علماء القرن العاشر، وتم الانتهاء من نسخه ليلة الخميس لثمان ليال بقين من شهر رمضان عام 1128هـ، وفي مخطوط بيان الشرع الجزء الرابع عشر، ذكر الناسخ بأنها نسخة للفقيهة العالمة عائشة الريامية، وتم الانتهاء من نسخه في الثامن عشر من ربيع الثاني من عام 1128هـ.

ولقد كانت في عصرها– عصر اليعاربة نساء أخريات غيرها، اشتهرن بالعلم فما أعظمه من عصر انتشرت به تلك العالمات ليكن قبسا ترجع إليهن كل فتاة فيما أشكل عليهن في أمور دينهن ودنياهن ويكن شعلة تنير الطريق أمام كل فتاة تحب العلم وتسعى إليه.

توفيت العالمة الجليلة عائشة الريامية في عصر الإمام سلطان بن سيف الثاني، بعد عمر قضته في كفاح من أجل العلم والدين، ودفنت ببهلا شمال الطوي الواقعة بمسجد العبّاد عليه لوح من الرباب مكتوب فيه اسمها وتاريخ وفاتها، ولا يزال قبرها معروفاً ولكن مع مرور الزمن تلاشى تاريخ وفاتها، ولكن اسمها لا يزال محفوراً في ذاكرة الأجيال يتناقله الأبناء عن الآباء، وقد سميت مدرسة ببهلا باسمها تخليداً لذكراها العطرة.

** ** **

راية البيمانية

نشأت هذه المرأة الفاضلة في مدينة الرستاق، تلك المدينة التاريخية التي خرجّت العلماء والأئمة والأبطال، فقد كانت الرستاق في وقتها تعد عاصمة ثانية بعد نزوى نظرا لأهميتها الاستراتيجية.

(72/1)

وعايشت راية البيمانية عصر اليعاربة ذلك العصر الذي كان من أزهى الفترات التي عاشتها عمان، فترة امتلأت بالازدهار الاقتصادي والعلمي، ومما ساعدها على ذلك قيام أسسها وبنيانها على أحكام كتاب الله عز وجل ومنهج الرسول صلى الله عليه وسلم والتزام مبدأ الشورى في جميع الأمور.

اهتمت راية البيمانية بنسخ الكتب بنفسها، وما ذلك إلا دليل على اهتمامها الواضح بالعلم، فقد أدركت بثاقب بصيرتها أن الكتاب هو الصديق والمؤنس، يرجع إليه الإنسان فيما أشكل عليه من أمور الدين والدنيا، ويقتبس من خلاله الثقافة والعلم بأصول الدين وفروعه.

وما تزال بعض الكتب التي نسختها باقية إلى الآن مثل:

... 1- كتاب بيان الشرع، الجزء الرابع، للعلامة محمد بن إبراهيم الكندي، وقد انتهت من نسخه بتاريخ 2 من ذي الحجة عام 1101هـ.

... 2- كتاب كشف الغمة وبيان اختلاف الأمة، ولم يذكر مؤلفه، وهو مخطوط يتضمن مسائل في أصول الفقه كما يتضمن عدة مواعظ نثرية وشعرية بأسلوب جميل، وقد أتمت نسخه بتاريخ 17 من ذي الحجة عام 1122هـ.

** ** **

ماما ستّي

(73/1)

هذه الأم الكريمة من الأمهات اللاتي بذلن مجهوداً مضنياً في سبيل العلم الصحيح وتأصيل المعرفة الإسلامية العلمية، فمن هذه الأمة القدوة؟ إنها والدة قطب الأئمة الشيخ محمد بن يوسف أطفيش، واسمها ماما ستّي وهي ابنة الحاج سعيد بن عدون، ورثت من أسرتها الذكاء والعلم والفضل، فكان جدها وعمها وأخوها من العلماء الأفذاذ الذين نبغوا في عصرهم، اتصفت ماما ستي بالورع والتمسك بالدين، ونشأت محبة للعلم والعلماء، تعرف فضل العلماء ومكانتهم وقدرهم، وأن العلم أنفس شيء في الوجود، تزوجت من السيد الصالح الحاج يوسف، وكان ذا أثر بليغ فيها، فقد رسخ فيها ما ورثته من أسرتها من حب العلم والدين والحماس للنهضة الحديثة وقوّاه، ولقد رزق الله هذا الزوج نعمة الذهاب إلى حج بيت الله الحرام، وبعد طوافه نام فرأى رسول الله صبى الله عليه وسلم في منامه يدنو منه باسماً متهللاً، ويكتب شيئاً في ظهره فاستفاق الحاج يوسف، وقلبه يغمره الانشراح، فلما رجع إلى وطنه استقبلته زوجته ماما ستي في حبها وحنانها وأشواقها فحدثها بالرؤيا، فاستبشرت، ثم حملت بعد مدة قصيرة بالولد السعيد، وبعد ولادته كان كما تمنيانه غلاماً جميلاً قوي البنية تبدو على نظراته وسيماء وجهه آيات الذكاء والنبوغ وعلامات الصلاح والنجاح، وأسمياه محمداً تيمناً وتبركاً بالرسول صلى الله عليه وسلم، وتمنيا من الله أن يكون ولدهما في مصاف العلماء.
وكان لا يرى الطفل محمد أباه بعد رجوعه من العمل أو المسجد إلا بين كتبه يقرؤها، فنشأ الطفل الصغير محباً للكتب تواقاً للمعرفة، وما يكاد يبلغ محمد الخامسة من عمره حتى يرى والده محمولاً على الأعناق إلى المقبرة، فارتاع وسفح الدمع الغزير، ولكن أمه ماما ستي أخذت تحنو عليه وتبالغ في الحنو وتكفكف دمعه، وتعوضه برعايتها وحسن تربيتها وتوجيهها ما فقده من حنان أبيه ورعايته.

(74/1)

وكانت الأم ترقب تصرفات ولدها، فترى حبه للعلم منذ نعومة أظافره لدرجة أنه لا يكاد يجد ورقة مكتوبة في الشارع أو في الدار، إلا ويأخذها ويراها أعز ممتلكاته، وكان في ألعابه يقلد أصوات القراءة متلذذاً بها، فأيقنت الأم نجاحه لا يكون إلا في العلم وأن الله قد حقق آمالها وآمال أبيه فوهبها هذا الولد الذكي، وأورثه الشغف بالعلم والقراءة منذ صباه، وآلت أن تصارع الدهر والحاجة وتترك ابنها يتعلم حتى ينبغ.

(75/1)

كانت ماما ستي حصيفة العقل، قوية الشخصية، عالمة نشيطة، تثبت في وجه الحياة المكشرة العابسة، فقد كان زوجها المتوفى مع حبه للعلم وأهله، تاجراً إلا أن هلم يتفرغ للتجارة وبالتالي لم يحقق ثراءً يذكر، فعندما توفي لم يترك لابنه وزوجته سوى دار يسكنونها، وثلاث نخلات، ومال يسير سرعان نفد، ولكنها بحسن تدبيرها اعتمدت على منسجها، وبراعتها في النسج، فعالت نفسها وابنها ولولاها لاتجه ابنها اتجاها ماديا يودي بنبوغه كما أودى الفقر والجهل بنبوغ كثير من اليتامى وأبناء الأمهات الجاهلات، وقد عهدت بولدها إلى أحد المؤدبين فحفظ القرآن، وختمه وأتقن حفظه وهو ابن ثمان سنوات، وقتها انتشت الوالدة باستظهار ولدها للقرآن الكريم، وكان ذلك اليوم أعظم عرس لها في الحياة، وقد أولمت له، وامتلأت دارها بالمهنئات، وأسرع إليها أقاربها يباركون للطفل ويهنئونها، وأسرع الطفل بعد ذلك إلى دور العلم يزاحم بالركب زملاءه في حقل الحلم، وأظهر ميلاً قوياً لحضور مجالس العلماء حتى إنه حين وصل العشرين من عمره كان يعد من أكابر العلماء، فقام بدور رائد في إحداث نهضة علمية في بلده وتخرج على يديه كثير من طلبة العلم، كان آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر وتصدى للبدع في عصره، ثم لقب بقطب الأئمة عن جدارة، فحقق به وصف الشيخ الخليلي حين يقول: (كان رحمه الله أمة في فرد وفرداً في أمة فقد جمع بين العلم والعمل)، فهنيئاً لماما ستي التي كانت هي السبب بعد توفيق الله عز وجل في اتجاه القطب إلى العلم، فقد دلت ابنها على طريق الفوز والنجاة ورتبة الشرف في الدارين: الدنيا والآخرة، ولها من الأجر – إن شاء الله – بعدد ما قدم الشيخ من حسنات وأعمال صالحة.

** ** **

أم الشيخ صالح بن علي بن ناصر الحارثي

(76/1)

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (تخيروا لنطفكم وانكحوا الأكفاء وانكحوا إليهم) على هذا المبدأ اختار الشيخ علي بن ناصر الحارثي زوجته، وهي ابنة الشيخ علي بن سعيد الحضري الحارثي، فإنه كان معه يوما في غارة ضمن الحروب الدائرة في ذلك الوقت، فأعجب بشجاعته وإقدامه وفطنته؛ فأضمر في نفسه إن كان له بنت ليخطبها ويتزوجها لأنه لاشك أن ولدها سيكون نجيبا ذكيا.

وسارت الأمور كما يشتهي فها هي بعد زواجه منها تنجب له ولداً أسماه صالحاً، واهتمت هذه المرأة اهتماماً بالغاً بهذا الابن رغم إنه كان لها ولد من زوج سابق لم ينل نفس الرعاية والاهتمام الذي ناله صالح، وحين سئلت عن سر ذلك، أجابت أن صالحاً ستكون عليه مسئولية لا تكون على أخيه، وذلك لأن أباه شيخ قبيلة بعكس الابن الآخر، ثم إنها جلبت له مرضعة معروفة بطلاقة اللسان وقوة المنطق، وقد سئلت عن ذلك أيضا فأجابت: (إن هذا الولد سيخاصم ويخاصم، فإن كان لا يعرف أن يتكلم فكيف يبز خصمه) فصدقت فراسة أمه في كل ذلك، فأصبح الشيخ صالح من بعد ليس رئيساً على قومه فحسب بل أكسبه جهاده وصلاحه طاعة القبائل الأخرى، ولقد كان تأثير حليب تلك المرضع طلاقة في اللسان وقوة في الصوت فكان ذا صوت جهوري يُسمع من بعيد.

وهكذا يلوح ذكر هذه الوالدة كلما ذكرت سيرة وصفات المجاهد الشهيد صالح بن علي عليه رحمة الله ورضوانه.

** ** **

ستي بنت عمر نتموسني

(77/1)

نشأت هذه المرأة الفاضلة في بيت علم وأدب، فكان أبوها العالم الجليل عمر نتموسني رباها على أسس التقوى والعلم، ولقد بذل والدها ماله في اقتناء الكتب النفيسة النادرة، وكان أغلبها مخطوطاً لا يظفر بها إلا العلماء الكبار وبأغلى الأثمان، اتصفت السيدة ستّي بالذكاء البارع، وشجعها وجود مكتبة والدها على الإطلاع الواسع في فنون العلم المختلفة حتى أصبحت ذات ثقافة عالية، وعندما توفي والدها الجليل عمر أحست بالغيرة على كتب أبيها، فبذلت كل جهد للحصول عليها فكانت هي نصيبها من ميراث أبيها ولعلها قد اشترتها من الورثة.

وعندما توفي زوج السيدة ستي خطبها قطب الأئمة الشيخ محمد بن يوسف أطفيش فرضيت به، وكان بعض الجهلة الحاسدين من قومها يناصبون القطب العداء، ويتخذون كل وسيلة لحرمانه من الاستفادة من خزانة كتب خاله، فكان زواجهما سراً لا يعلمه إلا الخاصة خوفا من الجهلة الغلاة من قومها، وفي اليوم الأول من الزواج استبقى القطب تلامذة غرداية، وضيّفهم في دار السيدة ستّي، فدخلوها ووجدوها مفروشة بأحسن الفرش، مبخرة، فقدم إليهم الطعام،

وبعد الطعام كلمتهم السيدة ستي من وراء ستار فرحبت بهم، وأخبرتهم بزواج الشيخ منها فهنئوها، ثم قالت: (لقد اخترتكم أنتم تلاميذ غرداية لكتمانكم للسر لتشهدوا، ألا فاشهدوا أنني قد وهبت خزانة الكتب، وهذه الدار، للقطب فهما ملك له، وستكتب وثيقة الملك لتشهدوا فيها) وكانت خزانة كبيرة من الكتب، ووهبت له أيضاً بعض أثاث الدار القيم رحمهما الله، قال الشيخ بهون: (ورزق الله القطب لإخلاصه وورعه وعمله لله ثلاث أشياء نفيسة: الزوجة الصالحة الوفية، وخزانة الكتب، ودار في أحسن وأغلى حي في بني يسجن).

** ** **

عائشة بنت الناصر ومحرزي وابنتها

(78/1)

ولدت هذه المرأة المسلمة الصالحة بمدينة بريان في ولاية غرداية بالجزائر في القرن التاسع عشر الميلادي، وترعرعت في بيئة صالحة طاهرة مفعمة بالإيمان القوي وحب العلم، وقد غرس والداها فيها حب العلم والمعرفة والتفقه في العلوم الشرعية بحيث كانت تتردد على الكتاتيب القرآنية النسائية، فحفظت القرآن الكريم وأحاديث نبوية شريفة وعدة متون دينية.
فنشأت مثقفة ورعة قوية الشخصية ذكية حافظة لا تكاد تنسى شيئاً مما تسمعه، وكانت تتشرب دروس العالم الجليل القطب، وتحفظ أحكام النساء في الدين فتعظهن وتفتيهن، وكان القطب يجلها لأثرها العميق في نساء بريان، ويعدها من أكبر تلميذاته، ولما هرمت وصارت لا تستطيع زيارة القطب صار هو يزورها في دارها وفاء لها، وتقديراً لجهودها، وقد اختار مجلس العزابة هذه السيدة الكريمة لتكون كبيرة العزابيات في بريان لعلمها وكفاءتها في تسيير ذلك المجلس الديني، لقد كانت هذه المرأة داعية تعيش من أجل نشر مبادئ الحق وتعاليم الإسلام السمحة، حتى تخرجت على يدها الكريمة العالمات الصالحات اللاتي برزن بدورهن الرائد في بيوتهن ومجتمعهن.
عاشت هذه العالمة حياة ملؤها جهاد ونضال في الحق، حتى توفاها الله.

(79/1)

وإذا كانت هذه سيرة السيدة الفاضلة العالمة عائشة، سيرة علم وتقوى وجهاد من اجل الدعوة، فقد أخذت منها ابنتها علمها وصلاحها، فكانت من المثقفات الفاضلات وكانت كأمها لها ذاكرة قوية تسمع الدروس الطويلة فتحفظها وتعيدها، وكانت من المواظبات على حضور دروس القطب فكانت حريصة على فهمها لهذه الدروس القيمة والإلمام بها حتى بزغ دورها في الدعوة، فكانت تجتمع بالنساء وتحفظهن مما حفظت من دروس القطب، فتخشع القلوب، وتسيل الدموع، وتحدث النساء عن عذاب القبر والحساب والعقاب بين يدي الله والنار وأهوالها في الآخرة، فتخرج النساء من المجلس وقد أحسسن برقة في القلب وخشية ورهبة، واهتمت بالشؤون الاجتماعية في بلدها (بريان)، فكانت ترى أنه إذا صلحت الأسرة صلح المجتمع، وكانت تسعى بالصلح بين الأزواج وبين المتخاصمين في العائلات، لا تسمع بنشوز في عائلة من معارفها إلا وتسرع فتعظهن بصوتها الخاشع المؤثر المؤمن بما سمعت من القطب، فتطفئ النيران وتزرع المحبة وتحل المشاكل التي تكدر صفو العائلة، ولما توفيت انطفأ نبع غزير من النور ومصدر عظيم للصلاح والدين يرحمها الله.

** ** **

سليمة الصقرية

(80/1)

هي ابنة الزاهد الورع الشيخ سعيد الصقري، نشأت في كنفه، فكان مدرستها الأولى التي درست فيها الفضائل والآداب الكريمة، فاتصفت بالحلم والزهد والأخلاق الرفيعة، ثم شاء لها القدر السعيد أن تقترن بالإمام المحتسب الشيخ صالح بن علي الحارثي، فكان مدرستها الثانية، فصارت سنداً وعوناً لزوجها الصالح، وكانت تعرف قدر الناس وتنزلهم منازلهم، تأثرت في ذلك بأبيها وزوجها، ولقد تبوأت مكانة عظيمة في قلب زوجها الصالح التقي الذي ان لا يستغني عنها لثقته الكبيرة فيها، ولكن بالرغم من ذلك فقد حصل بينهما ما قد يحصل بين أي زوجين من خلاف، وسوء فهم، فرأت أنه من المناسب أن تذهب إلى بيت أهلها إلى أن تهدأ الأمور، فأحس الإمام بالفراغ الكبير الذي تركته زوجته، وبحاجته الملحة إليها في بيته ونفسه، فبادر إلى استرضائها فلم تمتنع وعادت إلى بيتها كأفضل ما تكون الزوجة الصالحة.
وكان لها فضل في إنقاذ حياة زوجها الإمام من الهلاك، حين أهداه أحد أعدائه عباءة مسمومة

فأوجست منها ريبة ونصحته بأن لا يلبسها، وقد أخذ الشيخ بنصيحتها وقد جربت الزوجة الصالحة هذه العباءة على قطة فماتت، وأصبحت هذه الواقعة يضرب بها المثل (أقطع من سم البشت).

ورزقهما الله عز وجل من زوجها الإمام ابناً وثلاث بنات، وهم عيسى وعزيزة وشمية وعائشة فبذلت الأم الصالحة نفسها ووقتها من أجل تربيتهم على المبادئ السمحة وعلى العلم والصلاح وأحسنت تربيتهم، فنبغ من أبنائها عيسى الذي أصبح بعد وفاة والده شيخاً لقبيلة الحرث.

** ** **

شمسة الخليلية

(81/1)

ترى هل يكفي لنعرّف هذه الشخصية أن نقول إنها ابنة العالم الرباني المحقق مجدد القرن الثالث عشر شيخ الإسلام سعيد بن خلفان الخليلي، أم نقول إنها زوج الإمام عزان بن قيس البوسعيدي، أم نذكر أنها أخت الشيخين أحمد ومحمد ولكن لن نكتفي بهذا لنعلم قدرها وشرفها فالنسب والقرابة لا قدر لهما في الإسلام إلا بقدر ما يقربان صاحبهما من الله عز وجل: (إن أكرمكم عند الله أتقاكم). فهيا بنا نستجلي بعض ملامح شخصيتها وسيرتها العطرة.

ولدت السيدة الفاضلة شمسة في قرية بوشر بولاية مسقط، تعلمت القرآن الكريم والعلوم الفقهية والأدبية، في ذلك البيت المسلم بيت العلم والفضل والتقى، فترعرعت محبة للعلم، ساعية في تحصيله، ومما ساعدها على ذلك ما حباها الله من عقل واع، وقلب متفتح، فارتوت من معين والدها الدفاق، حتى بلغت درجة من العلم وأصبحت مرجعا للفتوى وخاصة في مسائل النساء الدينية.

وقد نالت هذه البرة الرضية شرف الاقتران بالإمام الرضي عزان بن قيس، وعاشت معه حياة هانئة سعيدة، ولكن ما يكاد يمضي عام على زواجهما المبارك إلا ويلتحق زوجها الإمام بسلك الشهداء، ففجعت بتلك المصيبة كما فجع معها المؤمنون الأحرار بفقد إمامهم وقائدهم، ولكن كما قيل: (لا دواء كالصبر) وبشر الصابرين.

(82/1)

استشهد الإمام وهي حامل منه فكان مولودها ذكراً، وقد استشهد زوجها الإمام وهي ما تزال في ريعان الشباب، بل لعلها في العشرين من عمرها أو حول ذلك، وتقدم الصالحون لخطبتها، ولكن من كمثل عزان وطيفه لا يزال أمام ناظريها، فما كان جوابها لهم إلا قولتها المشهورة: (لا رجل بعد عزان)، وفضلت أن تبقى حاملة ذكرى ذلك الإمام الشهيد، ولا تكاد هذه السيدة الجليلة تستفيق من حر مصيبة فقدان الزوج، حتى تنزل عليها مصيبة أخرى وهي استشهاد والدها وأخيها محمد حين قتلا ظلما وغدرا، ولكن لا حيلة في رد القضاء، وهي وإن كانت مصيبة في حد ذاتها، فإن مما يسليها أن أولئك الأخيار إنما دفعوا أرواحهم ثمنا رخيصا لرضوان ربهم، وإقامة منهجه على الأرض، فانتقلوا إلى جنات ونهر، في مقعد صدق عند مليك مقتدر، مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

وكان لهذه الفقيهة البرة يد في علم الأسرار، وقد حباها الله بأموال كثيرة ورثتها عن أبيها الشيخ المحقق الخليلي واتصفت بالكرم والسخاء وكثرة التصدق على الفقراء والمساكين، وكانت تساعد ابن أخيها الإمام محمد بن عبد الله الخليلي رحمه الله بهذه الأموال من أجل معاونته على الخير والسير في طريق نشر العدل في الأرض، وكانت كثيرا ما ترد إليه الأموال التي كان يبيعها وتشتري الأموال ثم تردها إليه من أجل ذلك.

(83/1)

وقد ظلت هذه المرأة الوفية من غير زوج بعد الإمام عزان أكثر من ثمانين عاما حتى وفاتها، وذكر مؤلف كتاب (الزمرد الفائق) للخصيبي أنه أدركها وزارها عام 1350هـ في ولاية سمائل، وكانت صالحة فاضلة، وعندما دنت وفاتها رأت الإمام عزان بن قيس رحمه الله في منامها وأخبرها عن العلاقة الزوجية بأنها باقية، وعاشت هذه المرأة الصابرة حتى اختارها الله بقربه على أثر ذلك، ودفنت في العلاية بولاية سمائل وذلك في عصر إمامة ابن أخيها الإمام محمد بن عبد الله الخليلي، رحمها الله رحمة واسعة، وأكثر في نساء المسلمين أمثالها.

** ** **

عائشة العامرية

نشأت هذه العالمة الفاضلة في القريتين من أعمال إزكي بعمان، في القرن الثالث عشر الهجري في بيت علم وأدب بين أب وعم فقهاء أعلام، ولقد اشتهرت بسعة العلم والمعرفة حتى كانت مقصد العلماء ولمزيد من التعرف على صفاتها نحيل القارئ إلى رسالة الشيخ عامر بن سليمان الريامي التي أرسلها إليها وهو من هو في العلم والدين ما يعصمه عن التملق والمبالغة في القول، يقول فيها: (نقية الأصل والفرع، طيبة الأرض والزرع، خصيبة المرعى، كريمة المسعى، نجيبة الخصال، واضعة درر المروءة قبل الفصال، المتسربلة بثوب العفاف، المتدرعة بمسرودة الكفاف، السالكة منهاج العلم، الراقية شناخيب مدارج العلم، كريمة عشيرتها، ونصيحة مسيرها، وسامية المرتقى، وبقية من بقى، سيدة المنتقات، المشايخ الثقات بنت مسعود بن سليمان بن سرحه بن حرمل بن حمد بن سرحان بن محمد بن ناصر بن أبي عامر العامرية المضريّة النزارية، سلمها الله سلامة سرمدية أبدية، ونجّاها من كل رزية وبلية ووقاها كل مماذق عايق، وكيد كل فاسق منافق). ولقد كان لها آراء وفتاوى رويت عنها في عدة كتب معاصرة لها وتالية، اهتمت هذه العالمة الجليلة بنسخ الكتب لما لها من أهمية بالغة في توسيع ثقافة كل طالب علم مثل كتاب المهذب المتخصص في علم الميراث وقد كتبته بخط يدها.

(84/1)

ونختم الحديث عنها بمقتطف من رسالة الشيخ عامر بن سليمان الريامي السابق ذكرها والتي يقول في مقدمتها: (ولما عز اللقاء، وصعب المرتقى، لم يفتر الخاطر، ويقر الناظر إلا بتعريفكم حيث أنتم بقية المؤدين، قال الله تعالى: (فإخوانكم في الدين)، لا عدمنا وجودكم، ولا حرمنا فضلكم وجودكم). وبعدها تكلم عن الدنيا، وكونها دار ابتلاء والآخرة التي هي دار القرار فقال: (كل شيء لدوران، وكل حي فان، الدنيا نفعها ضرا، وحلوها مرا، ونعيمها انتقام، وسرورها أضغاث أحلام، ما أجمل من ألبوس التقوى عند البؤس الأقوى، ولو استخبر أهل المقابر من السنين العوامر لبدلوا عن الهضائم العظائم، والجفاء للأوفاء، ما من رسول ولا نبي إلا أخبر الله عنه بالتنكيل من أهل الأباطيل وليحصدوا ثمرة الصبر ويؤدوا لوازم الشكر، أين نحن من لفظ طعامهم، أو تراب أقدامهم مع سوء سريرتنا، وقبح سيرتنا، والحمد لله على كل حال فالحياة إلى زوال، فالسفر ينادي، والأيام رواحل، والشهور مراحل، والطرق غير مأمونة المخافة، فالعاقل من تأهب للرحلة، وترك عنه تسويف المهلة، وتقمص بقميص الحق، وتردى برداء الصدق، واعتم بعمامة الإيمان، وتحزّم بطاعة الرحمن، وتقلد بسيف اليقين، وركب مطية الموفقين، وساقها بعصى السياسة، وأوردها من حياض الكياسة، وأناخها في قنوات النيات،

وقرع الباب في ظلمات المدلهمات، على كريم المعطيات غفار الخطيئات، فعسى ولعل تحل به أمنع محل في عيش هني، وشراب مري وروضات ورياض، ونهور وحياض وموائد وولائد، وقصور وحور، فتلك تجارة لن تبور...).

** ** **

نقية بنت عامر بن سالم بن راشد الحجرية

ولدت الفاضلة الزكية نقية في قرية الواصل من أعمال بدية بعمان، وتزوجت بالعالم الزاهد راشد بن خلفان بن علي الحجري.

(85/1)

درست مع زوجها العالم مجالات الدين المختلفة فكان زوجها العالم الزاهد مدرستها الأولى، حتى توفي رحمه اله، فتزوجها إثر وفاته السيد فيصل بن عزان بن قيس البوسعيدي الرستاقي المسكن، ورأت أنها بحاجة إلى مزيد من الإطلاع في ما يهمها من أمور الدين، فتتلمذت على يد الشيخين الجليلين راشد وسالم ابني سيف اللمكي حتى اشتهرت بعلمها الواسع وزهدها المنقطع، فأصبحت عالمة مقصودة، واشتهرت بزهدها، وكانت كاتبة زوجها بسبب حسن خطها وجماله حيث كانت تكتب الرسائل للسيد فيصل، وعاشت هذه الزاهدة ما يقارب الخمسين سنة قضتها في العطاء والبذل، ومن الغرائب أن تتوفى هي في الرستاق في بلدة زوجها السيد فيصل، ويتوفى زوجها فيصل في بلدها الواصل ببدية إثر زيارة قام بها إلى هناك.

توفيت رضي الله عنها عام 1320هـ بمحلة القرن بالرستاق، وقبرها معروف مشهور هناك.

** ** **

مامة بنت عبد العزيز

هذه المرأة العظيمة وهبت حياتها لخدمة ديننا الحنيف الاهتمام بالجانب العلمي، ولدت السيدة الجليلة مامة في مدينة مليكة العليا بوادي ميزاب بالجزائر عام (1270هـ / 1850م) في كنف عائلة مؤمنة مشهورة بالعلم والعمل، تلقت علومها الأولى في الكُتّاب فحفظت القرآن الكريم عن ظهر قلب، وكانت شغوفة بالعلم فلازمت عدداً من حلقات العلم كحلقة الشيخ

محمد بن سليمان، والشيخ عمر بن سلمان، والشيخ عمر بعمارة، وغيرهم فأخذت عنهم الفقه وعقيدة التوحيد، وحفظت الكثير من المتون الدينية المعروفة آنذاك، والحديث والسيرة والابتهالات، وسعت إلى حضور مجالس الذكر، ودروس الوعظ والإرشاد في المسجد، وكانت شغوفة بشهود الصلاة مع الجماعة حتى أنها كانت تدق جدار المسجد من مصلى النساء عندما يخطئ المجلس في التلاوة فتهمس لهم بالآية الصحيحة ليرجعوا إلى الصواب.

(86/1)

ومن هنا ظهر نبوغها واستيعابها الواسع للعلوم، حتى غدت علماً من أعلام النساء في بلادها، فتألق نجمها حتى ارتضاها المشايخ رئيسة لحلقة المرشدات في مليكة العليا، بذلت نفسها وجهدها في نصرة الحق ومقاومة الضلال والجهل، وردع العصاة والمفسدين عن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بكل شجاعة وإخلاص، اهتمت بالأطفال الصغار فدرستهم القرآن الكريم، فكان من تلاميذها ممن أصبحوا بعد ذلك قضاة ومؤدبين وعلماء، وبرز دورها بين بنات جنسها، فأخذت تعلمهن القرآن الكريم، وتبصرهن في أمور الصلاة والصيام، وحقوق الزوج وغيرها حتى تخرج على يدها كثير من النساء النابغات الصالحات كأمثال مسعودة بنت صالح التي أصبحت رئيسة للمرشدات من بعدها.

حرصت هذه المرأة الكريمة على إرشاد النساء، وتذكيرهن بواجباتهن كلما وجدت إلى ذلك سبيلا وخاصة في مؤتمرات (لا إله إلا الله).

وكان دورها بارزاً في المجتمع فأخذت تعلن الرفض والمعارضة الشديدة أمام أي خلل تراه يظهر في المجتمع من المسجد أو غيره، حتى قال عنها أحد الأعيان وقتها: (إنها كانت تقف أمامنا كالجبل الشامخ بالبراءة والهجران سواء من الرجال أو النساء).

ومن أعمالها الجليلة ترؤسها لمجالس الصلح بين العائلات المتنافرة لإصلاح الصدع وإحلال الوفاق بينها بكل إلحاح وإخلاص، مهما كان نوع المشكلة التي فرقت بينها، وكانت كثيراً ما توفق إلى النتيجة المرضية والحل الأعدل بين الطرفين، وفي غمرة هذه الكرامات والصفات النبيلة اختارها الله إلى جنة الخلد تاركة وراءها ذكراً طيباً، وعملاً متقبلاً صالحاً بإذن الله تعالى، وكانت وفاتها عام (**1340**هـ / **1922**م).

** ** **

عائشة بنت عمر بن سليمان

(87/1)

ولدت هذه السيدة الجليلة عام 1272هـ في مليكة من ولاية غرداية بالجزائر، كانت أمنية والدها أن يرزق بابنة عالمة في أمور الدين، وعندما ولدت عائشة وقبل أن تذوق طعم لبن أمها أشربها أبوها غسيل سورة الانشراح، ورباها هذا الشيخ الفاضل بعد ذلك تربية دينية علمية على خلق القرآن الكريم، وبذر في نفسها مبادئ الدين وعلومه الأولية، وكان أخوها من علماء ذلك العصر، فاستفادت منه في كثير من علومها، لقد أحبت العلم فأقبلت على حفظ القرآن الكريم، بعدها طلبت من الشيخ صالح بن علي العلي أن يقبل انضمامها إلى حلقة (إروان) فرفض لأنها خاصة بالرجال فقالت له: (ما حجتك أمام الله إذا منعتني؟) وكان من حرصها على طلب العلم أنها كانت تنافس علماء زمانها وتستزيد منهم العلم، ومن هؤلاء العلماء الشيخ سليمان ابن بكير مظهري وغيرهم الكثير، ولقد كان لها من الذكاء والعلم والأخلاق ما أهّلها أن تكون محط إعجاب العلامة محمد بن يوسف أطفيش؛ فتقدم لها وتزوجها، ولقد تلقت من زوجها العالم الجليل صنوف العلم المختلفة حتى غدت عالمة نابغة ولا سيما في علوم الميراث، كانت عائشة أفضل امرأة لدى الشيخ أطفيش، أسعدت زوجها، وجعلته ينصرف إلى العلم بالهدوء المنزلي والجو العائلي الحسن الذي تحفه به، وأنجبت له ثمانية ذكور ربتهم فأحسنت تربيتهم حتى غدوا صالحين مصلحين، وهم وإن لم يرثوا علم والدهم ولكنهم ورثوا صلاحه، وكان من حب زوجها لها أن اصطحبها إلى حج بيت الله الحرام.

(88/1)

ولم تكتف هذه الزوجة المطيعة والمربية الفاضلة بدورها في مجال الأسرة بل تعداه إلى المجتمع المحيط بها، فقد كانت تشجع الصبيان والبنات على العلم وتقوم بإهداء أدوات الكتابة لهم، وفتحت منزلها لتعليم البنات والصبيان القراءة والكتابة، وتحفيظ القرآن الكريم، كما أنها اهتمت ببنات جنسها فكانت تقوم بالوعظ والإرشاد للنساء في المجالس النسوية، وتفسر لهن القرآن الكريم، وتفتي لهم في المسائل الدينية الخاصة بهن، وكانت حريصة على الاستزادة من العلم عن طريق حضور دروس المشايخ التي يلقونها في المسجد.

وفي عام 1356هـ رحلت هذه السيدة الجليلة إلى دار الآخرة لتنعم في جوار الله بجزاء المؤمنات العابدات الصابرات الشاكرات.

** ** **

مامة بنت سليمان

لقد قيضها الله تعالى لخدمة الإسلام وأهله فتركت بصماتها على صفحات التاريخ الإسلامي، لتكون من النساء اللاتي شاركن في ركب الحضارة الإسلامية والمضي بها في طريق الرقي والازدهار.

ولدت السيدة مامة بنت سليمان بن إبراهيم عام (1280هـ / 1863م) في مدينة غرداية بالجزائر، وترعرعت في أحضان عائلة مؤمنة قوية.

أخذت علومها الأولى في كُتّاب المدينة فاستظهرت نصف القرآن الكريم، وأتقنت القراءة والكتابة، وأخذت حظاً من علوم الشريعة، ومبادئ العربية والنحو من بعض مشائخ عصرها كأمثال الشيخ بابكر بن مسعود، والشيخ بهون بن موسى، وزوجها الشيخ يعقوب العزناوت، وابنها الحاج بكير بن عمر، وغيرهم الكثير.

حفظت عقيدة التوحيد، ودرست الفقه من كتاب الإيضاح، والنيل وشرحه، والتفسير من كتاب تيسير للقطب أطفيش، والنحو من كتاب الأجرومية، والسيرة النبوية، وتاريخ الإباضية، وأما الأخلاق وتهذيب النفس فمن كتاب قناطر الخيرات.

(89/1)

كانت حياتها منارة هدى وإيمان في بيوت التقوى والصلاح، فتحت منزلها لتعليم بنات جنسها القرآن الكريم والعقيدة الصحيحة والعبادات، أخذت توجه النساء وتعظهن في حصص أسبوعية مستمرة وخاصة في شهر رمضان فكانت لنساء بلدها المعلمة المؤمنة والمرشدة الصالحة.

انضمت هذه الأم المربية إلى حلقة المرشدات بغرداية وترأسها عام 1324هـ فأخذت على عاتقها مهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أينما حلت، لا تخاف في الله لومة لائم، فهي تعلن البراءة والهجران من النساء المستحقات لذلك في مقرهن العمومي وتعلن العفو عن التائبات كذلك، فأصبحت بمثابة عصبة البلد والعمود الفقري لتماسك العائلات عن أمواج الجهل والفتن المتلاطمة، وذلك من خلال سعيها الدؤوب لإصلاح ذات البين لما لها من قوة

في الذكاء، ومكانة في المجتمع، وهيبة في النفوس، وحكمة في الرأي، وكان لها خبرة في سياسة الأمور حتى أصبحت نحل استشارة الأعيان والعزابة والقواد، ومن خلال مهمتها كرئيسة للمرشدات ألزمت نفسها الإشراف المباشر على تطبيق أوامر المسجد في الأوساط النسوية بكل حرارة وإخلاص لدى جميع المناسبات المقننة من طرف العزابة في المسجد، فهي بالتالي كانت حلقة الوصل بين العزابة وأعيان البلد والمجتمع النسوي، ومن أهم أعمالها الجليلة التي بذلت الجهد من أجلها مقاومتها للبدع والخرافات في زمانها، فقد قضت هذه المربية الفاضلة على كثير من الخرافات التي كانت تخيم على العقول بسبب الجهل والتقليد الأعمى، واستبدلتها بالتقاليد الطيبة النظيفة، مثال ذلك: منع زغاريد النساء عند رؤية السيل، ومنع زغاريدهن صباحا بعد اللقاء الأول بين العروسين، ومنع الإسراف في تزيين العروس شفقة على الضعيف، ومنع بعض الأطعمة والهدايا التي كانت يتبادلها الناس فيما بينهم في المناسبات، وفرض تحية (السلام عليكم) عند جميع الناس عوضا عن التحيات الأخرى غير المعهودة في الإسلام، ومنع كل ما فيه كشف لحجاب المرأة وضياع

(90/1)

حرمتها، ولقد استجاب أهل غرداية لهذه المرأة الصالحة بكل ثقة ورغبة ورهبة، وكانت قاعدتها الأساسية للإصلاح والمقاومة هي الولاية والبراءة التي لا تطبق من جهة فرد واحد وإنما جماعة النساء والرجال فيعطي ذلك أثره العميق في الامتثال لأوامر الله والانتهاء عما نهى الله عنه، ولقد تقدمت هذه المرأة المؤمنة جنبا إلى جنب مع أخواتها الصالحات مع الرجال في الثورة على الاستعمار الفرنسي الذي قام به على الجزائر عام 1270هـ، فقد ذكر الأستاذ إبراهيم قرادي في رسالته: (إن الجماعات الدينية للنساء نظمت مؤتمراً تحت رئاسة رئيسة الجماعة الدينية النسائية بغرداية وهي المسماة (مامة بنت سليمان) وقررن إصدار أوامر بمقاطعة كل ما يتصل بالفرنسيين من لباس ومواد وغيرها وحمّست هذه المرأة الكريمة الجماهير على هذه المقاطعة السلبية وعقوبة كل من خالف الاجتماع هو إعلان (البراءة والهجران) ضده سواء من الرجال أو النساء، فعمّر الإضراب أكثر من ثلاثين عاما، ترك أثرا إيجابيا على المؤمنين بالفكرة، فكان الطفل يتدرب على ذلك منذ نعومة أظافره من أمه حتى لا تكون لديه عقدة ضدها فيرميها ويبتعد عنها، ولقد نجح إضراب مامة بنت سليمان نجاحاً باهراً فإلى عهد قريب كان اللباس الأوروبي ومأكولاته ومغرياته كلها مرفوضة، وكان لهذا الموقف المشرف من هذه المرأة المؤمنة يعتبر من المواقف التي رفعتها إلى مصاف زعيمات النساء المسلمات في العصر

الحديث، فقد اعتبرها صاحب كتاب (ثورات النساء في الإسلام) واحدة من اثنتي عشرة امرأة اشتهرت بمواقف بطولية في العالم، ولقد أعدت هذه المرأة الحصيفة العدة لليوم الآخر وعملت بقول الرسول الكريم: (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له) فقد بذلت نفسها لتعليم بنات جنسها في منزلها وسط المدينة وفي البساتين ثم بعد ذلك حبست كتبها لمن يطلب العلم، ونصت في وصيتها على شراء دار يوقف

(91/1)

للتعلم وسط المدينة مما يفضل من الثلث، فما أعظمها من وصية، وصية من أجل طالب العلم الذي سيحمل شعلة العلم والإيمان لأسرته وجيرانه ومجتمعه، وبعد هذا الجهاد العظيم في سبيل إعلاء كلمة الله، وفي نهاية شهر رمضان المبارك ذكّرت النساء بفضائل العيد، وقرأت لهن خطبة عيد الفطر المبارك المعروفة في (وادي ميزاب)، وهي متزينة بلباس العيد، فقالت للنساء: (أتمنى لقاء الله على هذه الحالة) وما هي إلا لحظات حتى أصبحت في جوار الخالدين في جنات النعيم يوم 29 من رمضان عام (1349هـ / 193م) رحمها الله ورضي عنها وجعلها الله برفقة النبيين والصديقيين والشهداء، وحسن أولئك رفيق.

** ** **

الفصل السابع

(نساء من بدية)

* نساء في محراب العبادة
* الأستاذة المربية ماهلة
* ولطريق العلم السالكات
* وللقرآن حافظات
* معلمات لأفضل الكتب
* حقاً صائمة

* ثرية... ولكن
* من أولياء الله
* صاحبة الكرامة
* أم اليتامى ومفرحة الأطفال
* الطبيبة العابدة.

نساء في محراب العبادة

1) الأختان الدرتان:-

... حليمة وباهصة بنات خميس بن علي بن خميس الحجري، أخوات الشيخ سالم بن خميس والد عبد الله بن سالم الحجري، كانت حليمة تتحرى رضا الله في الحركة والسكنة وتتوخى القرب منه تعالى، وتبتغي رضوانه في الخطرة والفكرة، وعدتها الصبر والذكر، تصبر النفس على ما تكره من طاعة اله عز وجل وإن ثقل عليها، وتذكر الله باللسان والقلب، كانت امرأة عابدة جلدة تقوم للنساء في صلاة التراويح في شهر رمضان، وكثيراً ما عمرت مصلى النساء بالواصل بصلاتها وتلاوتها، اتصفت بالشجاعة والجرأة في الحق فكانت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، مرّ عليها ذات يوم رجل بمن معه يرقص مع الغناء، فلم يعجبها فعلهم فأنكرت ذلك عليهم ونهتهم، وسرعان ما امتثلوا أمرها وانتهوا عن منكرهم الذي كانوا عليه.

(92/1)

أما أختها باهصة فلم تعنيها الحياة بكل ما فيها من زخرف ومتاع وإنما كان كل همها الباقيات الصالحات التي ستبقى لها وترفعها يوم القيامة في سلك الصالحين الأخيار، واتصفت بكثرة العبادة، وكان لها ابن وابنة بذلت ما في وسعها لتربيتهما التربية الإسلامية الصحيحة على منهج القرآن والسنة، حتى أثمرت عنايتها بهما فأصبح ابنها الشيخ ناصر بن بدر بن محمد الحجري أحد مشائخ المنطقة، وأما ابنتها فغدت من العابدات الزاهدات.

... 2) الدرة العذوبية:-

... كانت شمسة بنت سعيد العذوبية من النساء العابدات الصالحات، تجردت لله في خشوع وتضرع وصبر لا تهزه الأحداث، وتوكل محفوف بالإيمان، وحب عميق لله ملأ قلبها وصدرها ووجدانها، فأصبحت مشاعرها ربانية، كانت تقوم لصلاة التنفل من نصف الليل حتى يطلع

الفجر، فتسهر والناس نائمون، وتربح والناس غافلون، كانت لا تخرج من بيتها إلا لحاجة ملحة أو لورد الماء، حتى عجزت فأعانتها ابنتها في ذلك.

** ** **

الأستاذة المربية ماهلة

إن القلم ليقف عاجزاً عن الكتابة أمام هذه الأستاذة الجليلة والمربية الفاضلة، ولكن لنطف في غيض من فيض بحر هذه المرأة القدوة.

(93/1)

لقد آمنت ماهلة فظهر إيمانها على أقوالها وأفعالها وحركاتها وسكناتها، فكانت مع الناس في معاملتهم، ولكن قلبها كان أبداً لله تعالى لا تعمل إلا له ولا ترجو إلا إياه، وكانت مع الله فكان الله معها، لقد نمت هذه الوردة اليانعة في بيت العلم والتقوى، وتفتحت في بستان الورع والتقى؛ فكان والدها الشيخ عامر بن سلطان الحجري، وهي أخت البرة الرضية الصوامة القوامة سالمة، تاقت نفسها للعلم فأخذته عن والدها الشيخ عامر، وأخذت تتبحر في فنونه المختلفة، ولمنها ركزت اهتمامها في المجالات التي تخص النساء كأمور الحيض والنفاس والطلاق والعدة وغيرها، اتصفت هذه المرأة القدوة بالصبر على طاعة الله تعالى والعبادة المنقطعة النظير، بذلت مالها للفقراء والمساكين في السر والعلانية، فأصبحت للمحتاجين نهراً دفاقاً بالبر وبحراً معطاء بالبذل، كانت ورعة لا يتكلم أحد من النساء في مجلسها بشيء من لغو الكلام وبحديث الدنيا إلا ما شاء الله، ولم تقتصر على ذلك بل رأت أن الدعوة إلى الله هي أسمى آيات الجهاد، فبذلت نفسها لطالبات العلم واجتهدت في تقديم النصيحة لهن، واهتمت ببنات جنسها فكانت تنير لهن طريق الصواب بأسلوب لطيف ولين ورقيق جذاب، فكانت نصيحتها تفعل فعلها في القلب، وتترك بصماتها في النفس، وكانت مرجعا في ما يشكل عليهم من أمور دينهن.

(94/1)

هذا بالنسبة لبنات جنسها، أما بالنسبة لأسرتها فقد تزوجت هذه العابدة الزاهدة من الفاضل عامر بن محمد الحجري، وكانت معينة له في أمور دينه ودنياه وولدت منه ولداً أسموه حمدا، بذلت هذه الأم جهدها لتنشئته النشأة الإسلامية الحقة ثم أصبح أحد تلامذة الشيخ نور الدين السالمي – رحمه الله – وأخاً وزميلاً للشيخ سالم بن راشد الخروصي الذي أصبح إماماً لعمان بعد ذلك، وكان الإمام سالم بن راشد كثيراً ما يزور ولدها حمد في البيت، وكانت تقول لزوجها عامر لا تدع سالماً ينام خارج البيت، وكانت كثيراً ما ترقب سالماً في صلاة الليل، وتتحدث عن رؤية النور الذي يسطع عليه وتخبر صاحباتها عن ذلك، وكان ولدها حمد كثيراً ما يمزح معها وترد عليه بقولها: (اصنع لكم شغلاً إن لم يكن لكم شغل)، فكانت تتوخى استغلال وقتها في كل ما هو نافع ومفيد لها ولأمتها، وعلى هذا الصراط المستقيم أمضت هذه المرأة الطاهرة حياتها متألقة بالإيمان زاخرة بالتقوى لا تحرك لسانها إلا بعلم أو معرفة أو أمر بمعروف أو نهي عن منكر.

** ** **

ولطريق العلم سالكات

... 1) الدرة الأولى:–

... كانت هذه الفتاة الكريمة في شجرة من الصالحين كالغصن الباسق الذي يزيد علواً ونضارة وعطاء مع مرور الأيام والأعوام من هذه الفتاة وكيف كانت حياتها؟ هذا ما سنتعرف عليه من خلال السطور القادمة.

إنها سالمة بنت عامر بن سالم الحجرية بن سالم الحجرية تربت في كنف والدها الشيخ عامر الذي كان شيخاً من مشائخ العلم، كان إمام مسجد الجامع – وهو أحد مساجد بلد المنترب من أعمال بدية عمان –، وهو الذي قال فيه الشيخ حمد بن سالم مرتجلاً لما حضره بحضرة الإمام محمد بن عبد الله الخليلي بمثل قول الفرزدق:

... ... هذا الذي يعرف المحراب وطأته ... ... والبيت يعرفه والحل والحرم

(95/1)

فما أعلاه من شرف أن تكون سالمة هي ابنة هذا العالم الجليل، وأما والدتها فهي تلك العابدة الزاهدة شيخة بنت حمد التي كان لا يفتر لسانها عن ذكر الله تعالى، هذه هي أسرتها أسرة

التقى والنقى، أسرة حلّقت في سمائها تعاليم الإسلام ومبادئه السمحة، فنشأت سالمة محبة للعلم متألقة في محرابه فنهلت علومها من والدها الشيخ عامر، وتبحرت في مسائل الصلاة والصيام، فكانت مرجعاً لبنات جنسها فيما يشكل عليهن من أمور الدين والدنيا، روضت نفسها على العبادات حتى غدت من العابدات الصائمات اللاتي لهن سبق في الدين والفضل، فجمعت هذه المرأة الفاضلة بين العلم والعمل، علم يقودها إلى العبادة الحقة، عبادة الله على بصيرة، وعبادة ترتقي بها إلى أعلى درجات الجنة.

2) الدرة الثانية:-

يكفي هذه المرأة شرفاً أن تكون أمها حليمة التي سبق ذكرها في (نساء في محراب العبادة)، أمها التقية الورعة، قدوة النساء في الصبر على عبادة الله وطاعته، كانت هذه الفتاة تدعى راية بنت حليمة واسمها راية بنت عامر بن سعيد، ربتها والدتها على الأخلاق الفاضلة والمبادئ الكريمة حتى غدت من العابدات الصالحات الفاضلات، أحبت العلم فثابرت على تحصيله من الأستاذة المربية ماهلة، كانت ذات عقل راجح وقلب متفتح للعلم فاجتهدت في التفقه في الأمور الخاصة بالنساء كالعدة والحيض، وأصبحت أفضل تلميذات الأستاذة ماهلة، روت عنها كثيراً من المسائل الفقهية الخاصة بالنساء، فغدت نائبة عن أستاذتها فيما بعد ومناراً لبنات جنسها فيما عضل عليهن في مسائل الحيض والعدة.

3) الدرة الثالثة:-

وهذه درة أخرى من نتاج جهود الأستاذة ماهلة إنها شمسة بنت علي العذوبية، من النساء اللاتي اهتممن بالعلم فبذلت جهدها في النهل من موارده العذبة، اتصفت بالصلاح وكثرة العبادة.

4) الدرة الرابعة:-

كانت رغبتها للعلم قوية فاتخذته هدفاً نبيلاً تسعى من أجل تحقيقه، وكان شعارها قول الشاعر:

... ... العلم أبقى لأهل العلم آثارا ... ... يريك أشخاصهم روحا وإبكارا

إنها السيدة الجليلة شمسة بنت مسعود بن عامر بن خميس بن حابس التي أخذت على عاتقها

الاهتمام بنسخ الكتب من أجل بقاء العلم، وليسهل الرجوع إليها من قبل طلابه، وبذلك أسهمت هذه الفاضلة في نشر العلم وحفظه، ومن هذه الكتب التي نسخت لها كتاب (ابن عطاء الاسكندري).

** ** **

وللقرآن حافظات

كن ثلاث أخوات قطعن على أنفسهن عهداً على بذل الوقت والجهد من أجل دراسة القرآن الكريم وحفظه، حتى يظل هذا الكتاب العظيم في صدورهن أينما ذهبن فيكون نبراساً لهن في أقوالهن وأفعالهن فيرتقين به إلى أعلى درجات الجنة، رزقهن الله بأخ كريم وشيخ فاضل هو الشيخ مسعود بن علي، درس القرآن فحفظه عن ظهر قلب، فكن يحفظن من عنده القرآن وكن يتدارسن على العشرات أي كل عشر آيات معاً، اتصفت هذه الأخوات الثلاث بالورع والمبالغة في التستر والاحتشام إلى حد أنهن كن يلبسن القميص وفي أطراف الأكمام عروة مقابلة لإصبع الإبهام من اليد تجعل تلك العروة في إصبع الإبهام، بحيث لا تنكشف سواعدهن إذا ما رفعن أيديهن.

** ** **

معلمات لأفضل الكتب

1) الدرة الأولى:-

سالمة بنت سويف التي نشأت وعاشت في بدية، اتصفت هذه المرأة الفاضلة بكثرة العبادة، فكانت قانتة لله عابدة له حافظة لأغلب كتاب الله عز وجل، وحرصت هذه المرأة على غرس حب القرآن الكريم في أبنائها، ورأت هذه المعلمة الفاضلة وابنتها أن القرآن الكريم هو أهم شيء ينبغي لكل مسلم ومسلمة أن يهتم به، عملاً بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (علموا أولادكم القرآن فإنه أول ما ينبغي أن يتعلم من علم الله هو)، فبذلن جهدهن ووقتهن لتعليم وتحفيظ الأولاد القرآن الكريم، فكانت مدرستهن مناراً لكل مبتدئ ومبتدئة يستقي من خلال تلك المدرسة العامرة المبادئ الأولى في اللغة العربية، والنطق الصحيح للكلمات القرآنية، فكانتا سبباً في نشر كتاب الله عز وجل ونقله للأجيال.

2) الدرة الثانية:-

سلمى بنت مفتاح التي تعلمت القرآن الكريم فأنار بصيرتها، وأضاء سريرتها، وصقل قلبها، وجلا عقلها، وصفّى ذهنها حتى أصبحت العابدة الزاهدة، كانت من أحسن النساء وأسترهن، وكانت لها أخت اتصفت بكثرة التنفل والعبادة لله تعالى، وكانت حافظة للقرآن.

3) الدرة الثالثة:

تحرت الحلال في المأكل والمشرب والملبس، وعبدت الله عبادة الصالحين الأخيار، وعلمت بنات جنسها الصغار منهن والكبار، واجتهدت في تحفيظهن كتاب الله العزيز والأذكار، فهيا بنا نقطف أزهاراً من حديقتها الغنّاء لينتشر عبيرها في جميع الجوانب والأنحاء، إنها شيخة بنت علي بن عامر الدرة المكنونة الموسومة بالعبادة والصلاح، اهتمت بتعليم النساء البُلَّغْ ما يهمهن من أمور دينهن، وبذلك الجهد العبير لتعليم النساء الكبيرات القرآن الكريم، ومن تحريها الحلال أن بعض النساء كن يأتينها بشيء من الهدايا كالرطب والليمون فكانت لا تقبل إلا ممن تعرف أن لها مالاً.

** ** **

حقاً صائمة

كانت آنس ما تكون إذا كانت مع الله في خلوتها، وأوحش ما تكون إذا كانت مع الناس في جلستها، وكانت من العابدات الزاهدات الصابرات الشاكرات القوامات الصوامات، قد أحيت نفسها لله بذكره (ألا بذكر الله تطمئن القلوب)، فهيا بنا نطوف في حديقتها الغنّاء، لنتعرف على شخصها الكريم.

إنها الشيخة بنت علي بن خميس البليشية، اشتهرت هذه المرأة بالزهد والانقطاع في عبادة الله تعالى، وكانت كثيرة الصوم لنفسها وإذا عرض عليها الصوم بالأجر، قالت: (الأعمال الصالحة لا يؤخذ عليها أجر ولا تفي بها).

هذه المرأة العاقلة اتخذت من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم منهجا حينما قال: (لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، فارق عبدي شهوته وطعامه من أجلي فالصيام لي أنا أجازي به)، وكان لهذه المرأة الفاضلة ولد بذلت جهدها في تربيته حتى اشتهر بين الناس بالحاج عامر، ومن حفيداتها زيون بنت سعيد بن علي بن خميس البليشية التي اشتهرت بالفضل والعبادة وكثرة الصيام، وكانت لا تخرج أيام صومها ولا تتحدث مع النساء في لغوهن.

** ** **

ثرية... ولكن

كانت قدوة النساء في البذل والعطاء، تشرف بنفسها على تزكية أموالها متصفة بالفضل والطهر والنقاء، لقد كانت مريم بنت حميد من الفاضلات الطاهرات الزكيات، رزقها الله عز وجل أموالا وخيرا كثيرا، وكان زوجها من المجالسين للعلامة الشيخ نور الدين السالمي، فكانت تسأله عن مسائل الزكاة حتى تؤدي زكاة مالها على أكمل وجه، كيف لا؟ والزكاة فريضة من فرائض الإسلام الخمسة، ومما يذكر عنها أن زوجها قال لها: (قال لنا الشيخ السالمي أن لا زكاة في الحشف) وهو المعروف بالدقل، وكان من حرصها على أداء الزكاة أنها كانت تجلس قريبا من الذي يكيل الزكاة من التمر ومن البسر المغلي، وتقول له في الكيلة العاشرة: (مليّ يديك) أي خذ حفنة كبيرة، ما أعظمه من موقف أن يحرص الإنسان على محاسبة نفسه في ماله في هذه الحياة الدنيا، ليجد جواباً ينقذه من عذاب الله يوم القيامة ويقربه من رضا الله وجناته، جوابا لسؤال الله تعالى له يوم القيامة يوم العض الكبر، ذلك السؤال عن المال من أين أكتسبه وفيم أنفقه.

** ** **

من أولياء الله

منذ طفولتها الغضة الناعمة النضرة، وتعاليم الإسلام ومبادؤه تشكل سلوكها وتصوغ حياتها وتنأى بها عن مزالق الشيطان، فقد تربت الفاضلة سالمة في كنف والدها العالم الجليل عامر بن سلطان الحجري، وهي أخت المعلمة المربية ماهلة، اتصفت هذه المرأة بالزهد والانقطاع إلى الله تعالى بالعبادة، فكانت تجد لذتها في وقوفها بين يدي الله عز وجل في ظلام الليل تناجيه وتذكره، فارقت المأكل والمشرب من اجل طاعة الله سبحانه وتعالى فكانت صوامة قوامة، ولقد شرفها الله تعالى بزيارة المسجد النبوي الشريف وقبر النبي صلى الله عليه وسلم، وأداء فريضة الحج في وقت لم تكن فيه الطرق آمنة ميسرة بل كانت رحلة الحج مغامرة محفوفة بشتى المخاطر والمشاق، فمن مشقة الطريق وطولها، إلى لهيب الحر في صحراء نجد والحجاز إلى الخوف الأعظم الكائن بسبب قطاع الطرق، أولئك القوم الذين سيطر الشيطان على نفوسهم وعقولهم فجعلوا من التعرض لضيوف الرحمن وسلبهم ونهبهم بل وقتلهم حرفة لهم، ولذلك حين عادت سئلت عن الحج، فقالت: (إن السفر إلى المدينة نصف الحج، والخوف النصف من ذلك السفر) وكان من كراماتها أن الأنوار تُرى عليها كثيراً، كانت كثيراً ما تحض الناس على طلب العلم وتشجعهم عليه لعلمها أن الله عز وجل لا يعبد عن جهل، وكانت من الذاكرات الله كثيرا.

** ** **

صاحبة الكرامة

تعالوا نقف ساعة في فيض عامر مع تاريخ هذه المرأة العظيمة ونحلق في معراج بطولتها ونزجي إليها تحية إعظام وإكبار، كما أهدت إليها الملائكة دعاء الرحمة والمغفرة والرضوان، من هذه المرأة؟ وما قصتها؟

إنها سالمة بنت خميس بن علي بن خميس الحجرية، اتصفت هذه المرأة بحبها للعبادة وسموها في الأخلاق، فكانت تعاليم الإسلام تمثل منهجها في الحياة، ومبادئه تشكل سلوكها مع ربها ومع نفسها ومع الناس من حولها.

(100/1)

اتخذت من القرآن الكريم والسنة النبوية نبراساً يهديها إلى طريق الحق والنور في الدنيا والسلامة في العقبى، كانت مع أخيها العالم الورع حمد بن خميس الحجري مفرسي رهان في

التسابق إلى طاعة الله عز وجل وطلب مرضاته، ومما يذكر عنها أن أخاها حمدا حكم بينها وبين رجل يسمى مسعود المعروف براعي فالح، وكان الحكم في أرض لها ولأختها فاطمة بنت خميس، فقال العلامة حمد لمسعود: (حدد الأرض التي تدعيها) فخط مسعود برجله، فقالت له سالمة: (إن رجلك ستيبس ولا تخرج بها إلى السوق بعد الظهر إن شاء الله) فلم يخرج من مكانه منذ ذلك اليوم حتى توفي فيها، فيا لها من كرامة لهذه العابدة الفاضلة فقد تحققت دعوتها، دعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب.

** ** **

أم اليتامى ومفرحة الأطفال

كانت هذه الدرة المكنونة، البرة الرضية مأوى للأيتام ومفرحة زهور الأيام، وعابدة لرب الأنام، إنها المعروفة باسم الحبيبة، جدة سالم بن علي بن عامر بن أبيه، اشتهرت هذه الطيبة النقية بالعبادة والصلاح، بذلت مالها ونفسها من أجل أن ترى البسمة ترتسم على وجوه الأطفال اليتامى، فكانت لهم كالأم الحنون الرؤوم تحفهم بعطفها وحبها وتضمهم إلى بيتها وتوفر لهم ما يحتاجونه من مأكل وملبس وغيره، وإذا توفر لها شيء من المال اشترت له هدايا للأطفال الصغار، وكان أسعد لحظات عمرها حينما ترى الأطفال فرحين مسرورين، وقد ابتلاها الله سبحانه وتعالى بفقدان نعمة من أغلى نعمه وهي نعمة البصر، فتلقت ذلك الابتلاء بما يجب ان يتلقى به المؤمن الصابر قضاء الله عز وجل وقدره من التسليم والرضا.

(101/1)

لم تكن تخبط في دينها خبط عشواء بل كانت تهتدي بنور العلم، وتؤدي العبادات على بصيرة من أمرها، رقدت يوما في شهر رمضان، ولما انتبهت من نومها شربت من ماعون قريب منها تظنها في الليل، وخرجت من موضعها فحرقتها الشمس، فنادت على ولدها علي بن عامر بأن يذهب إلى العلامة حمد بن خميس الحجري، ويسأله عن مسألتين في الصوم، فسار إليه عامر وسأله عن المسألتين، فقرأ عليه الشيخ حمد جواب المسألتين من كتاب بيان الشرع من الجزء المختص بالصوم، فما أجدر بالمسلمة اليوم أن تطلب العلم من مظانه، وأن تجد في أمثال هذه المرأة أسوة حسنة فتعبد الله على بصيرة فتحاسب نفسها قبل أن تحاسب.

لقد ضربت هذه المرأة المثل والقدوة في بذل النفس والمال من اجل رؤية البسمة في وجوه

الأطفال اليتامى البؤساء، فأين مثلها اليوم وقد كثر الأطفال البؤساء نتيجة الفقر والحروب والمجاعات؟.

** ** **

راية بنت سويلم بن علي البليشية
الطبيبة العابدة
جمعت هذه الدرة المصونة بين النسك والعبادة لله تعالى وبين العمل والبذل من أجل نفع الناس، رزقها الله ذكاء حاداً ونفاذ بصيرة، ويداً ماهرة متقنة في العمل، تعلمت طب الكيّ فكانت خبيرة في الكي عن الموضح ومرض الزهار اللذين لم يكن لهما علاج في القديم إلا به، وأكسبتها الحياة بمرور الأيام خبرة في توليد النساء فكانت نافعة لبنات جنسها ولا تمتنع على أحد منهن طلبا للأجر من عند الله تعالى، لقد جمعت هذه المرأة الفاضلة بين العبادة وكسب الرزق والعمل.

** ** **

الفصل الثامن
(1320هـ – 1419هـ)

*** مامة شيخة بنت إبراهيم بكير**
*** ميرة بنت يحيى**
*** زعيمة البارونية**
*** ثريا البوسعيدية**
*** عائشة الحارثية.**

مامة شيخة بنت إبراهيم بكير
أم اليتامى والمحرومين، الملقبة بأم الخير، وقدوة النساء في الصبر وتحمل المصائب، ومثل المرأة المؤمنة في حب العمل والكسب الحلال، هذه بعض ملامح حياة هذه المرأة القدوة مامة شيخة بنت إبراهيم.

(102/1)

لقد ولدت هذه السيدة الكريمة في ولاية غرداية بالجزائر، ونشأت نشأة صالحة في أسرة الخير والصلاح، وعندما كبرت ازداد شغفها بسماع المواعظ التي يلقيها المشائخ في المساجد، وزاد حبها لحلقات الذكر والابتهالات في التجمعات النسوية المختلفة، وهكذا زاد تحصيلها العلمي الديني من خلال هذه الدروس والحلقات من غير مدرسة أو كتاب، حتى أصبحت العضد الأيمن الذي لا يمكن الاستغناء عنه في حلقة المرشدات.

وهبها الله نضجاً في الفكر وسداداً في الرأي مما جعلها محل الاستشارة الصائبة في العائلة والمسجد والعشيرة، وكم كانت ترجع إلى المنزل في ساعة متأخرة من الليل بعد حضور إحدى هذه الحلقات الجدية مع أعيان من الرجال والنساء لحل مشاكل الأنساب في الميراث وغيرها، وكانت تجيب عن الفتاوى الدينية التي تلقى عليها، وذلك بعد التحقق من الإجابة الصحيحة من بعض علماء عصرها، ولقد استطاعت هذه المرأة الكريمة أن تكسب لنفسها مكانة بين العلماء بفضل خزانة الكتب التي نظمتها في غرفة استقبال للضيوف العلماء وقد كانت تغنيها بالتعاون مع زوجة القطب وابنته كلما صدر كتاب جديد في الساحة العلمية المحلية، هذا بالإضافة إلى ما ورثته من كتب قديمة من زوجها العالم.

(103/1)

عاشت زوجة ثانية للحاج مسعود بن إبراهيم – أحد تلامذة القطب – ولقد رزق الله هذا الشيخ عشرين ولداً من الزوجة الأولى، ورزق منها ثمانية ذكور، وعندما توفي زوجها العالم صبرت لهول المصيبة فلم تسلم نفسها للنحيب والبكاء، بل كانت تنفرد بنفسها على سطح الدار، وتصلي لله تعالى مدة أيام الحداد، حتى أراها الله كرامة عن مقام زوجها في الخالدين، وقد بذلت نفسها بعد ذلك لتربية الثمانية والعشرين ولداً، جاهدت حتى توفر لهم لقمة العيش الهنية، فقد كانت تنسج الألبسة الصوفية بمختلف أنواعها، وترسلها إلى عم الأولاد ليبيعها في تجارته بمدينة الحلفة، وعندما تقبض النقود تعيدها إليه ليشتري بها ملابس وهدايا لأبنائها، وكانت لهم جميعا الأم الرؤوم بحنانها وعطفها والمربية القدوة بتربيتها لهم التربية الإسلامية الصالحة، وساعدتهم بمالها حتى كبروا، ولم تكتف بذلك بل عندما بلغوا سن الزواج ساعدتهم فيه بمالها، ولم تقتصر بإنفاق المال على أبنائها وربائبها، بل كانت تبذله في سبيل الله للمحتاجين والفقراء، وخاصة في أيام شهر رمضان حتى تتضاعف الأجور والحسنات، وكان لها

دور عظيم في مجتمع غرداية يتمثل في إصلاح ذات البين، وكانت ترشد المتزوجين إلى أداء واجباتهم الدينية، ورعاية حقوقهم المتبادلة في الحياة، وقد بذلت نفسها لبنات جنسها فقد كان لها خبرة واسعة في توليد النساء، وكانت تجيب نداء أخواتها المؤمنات في أي وقت وإلى أبعد مكان ممكن في ضواحي المدينة، لما اتصفت به من رعاية فائقة للنفساء فكان النساء يشعرن بالاطمئنان والأمان والبركة أثناء توليدهن على يديها الكريمتين، هذه هي حياة ماما شيخة، عمل وكسب للرزق من أجل توفير لقمة العيش لأطفالها اليتامى، ونضال مستمر من أجل تنشئتهم النشأة الصالحة الحقة، وبذل للنفس من أجل إعلاء كلمة الله في الأرض، عسى الله أن تنال بشارة الرسول الكريم مصداقاً لقوله عليه الصلاة والسلام: (أنا وسعفاء الخدين كهاتين يوم

(104/1)

القيامة: امرأة آمت زوجها ذات منصب وجمال حبست نفسها على يتاماها حتى بانوا أو ماتوا) وأن يغفر الله تعالى لها بعملها الدؤوب، وكسبها الحلال، مصداقاً لقوله عله الصلاة والسلام: (من أمسى كالاً من عمل يده أمسى مغفورا له)، وقدمت لنفسها الأجر الذي لا ينقطع لاستمرار عملها بعد وفاتها، متمثلة لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له)، وفي نهاية حياتها ابتلاها الله بمرض في الكبد، ورجعت في يوم رطيب إلى ربها راضية مرضية في عام 1383هـ، بعد أن أعدت غُرفة بها جميع ما يلزم لتنفيذ الوصية فلم تتعب أحداً حية ولا ميتة رحمها الله ورضي عنها، فما أجدر المرأة المسلمة في هذا العصر أ، تستقي هذه الجوانب الناصعة من حياة هذه المرأة المجاهدة.

** ** **

ميرة بنت يحيى

(105/1)

لقد اتصفت هذه المرأة الصالحة بالشجاعة والإرادة والنشاط المنقطع النظير من أجل البلوغ بالأمة إلى أسمى درجات العزة، لقد ولدت هذه المرأة الفاضلة عام (1312هـ/ 1894م) في ولاية غرداية بالجزائر، توفي والدها وهي ما زالت صغيرة، فبذلت أمها مسعودة بنت عمر الجهد الجهيد من أجل تربيتها تربية صالحة، لقد تعلمت هذه المرأة الصالحة من طفل كان جاراً لهم، فأصبحت تكتب وتقرأ وحفظت مجموعة من سور القرآن عن طريق السماع من هنا وهناك، فلقد قيض الله لها من يعلمها بغير مدرسة ولا جامعة، لقد تعددت وظائف هذه المرأة الاجتماعية وضربت لكل امرأة مسلمة المثل والقدوة في الربط بين العمل والعبادة بل الاعتقاد بأن العمل ركن لا ينفك عن العبادة، وأن المرأة العاملة الصالحة خير من المرأة الخاملة المتواكلة، فقد اعتمت بالفلاحة حتى وصلت منتجاتها إلى السوق، كما أنها بنت وبمساعدة أختها مامة داراً للسكنى في بستانها بعد أن قطعت لها الطوب الطينية بيدها فكانت تحتجب لتقوم بالبناء وقت القيلولة أو الليل ثم سكنت هذه الدار بعد ذلك، ومارست أيضاً التجارة اليدوية التقليدية والمتمثلة في صنع بعض الأثاث لغرف العرائس وإصلاح بعض الموائد المنزلية، وكانت تجمع الجلود المهملة وتصنع منها الدلو والقربة، وترقع ما ثقب من الأدوات الجلدية التقليدية، ولقد ألهمها الله مهارة فائقة في طب الأسنان والعيون وجبر العظام، حتى أن الشيخ إبراهيم بن بانوح فتح لها منزله حتى تقوم بهذه المهمة في حصص أسبوعية خاصة، ولقد شاركت بإخلاص وشجاعة في الثورة ضد الاستعمار كممرضة لجنود جبهة التحرير الوطني، اشتهرت هذه المرأة العاملة الصالحة بالرأي الحصيف في مختلف الأمور التي تستشار فيها، وخاصة في مجالس إصلاح ذات البين، وكانت ملاذاً للعزابة والقواد في إعطاء الحلول النافعة والمشورة الصائبة، ولقد جمعت هذه المرأة الطاهرة بين الشجاعة والرأي السديد والصلاح والإيمان، وبين النشاط الدؤوب

(106/1)

والعمل الجاد في سبيل نفع بني جنسها، وضربت لكل فتاة مسلمة القدوة الصالحة في الامتثال لقول الرسول صلى الله عليه وسلم بأن الإنسان سيسأل عن (عمره فيما أفناه) وأن الوقت كالسيف فيجب استغلاله في كل ما هو مفيد ونافع للأسرة والمجتمع، وكان حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مناراً لها في دربها والقائل فيه: (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كلٍ خير).

توفيت رضي الله عنها عام (1387هـ / 1967م) بعد عمر قضته في جهاد وعمل وعبادة.

** ** **

زعيمة البارونية

(107/1)

كانت مقالاتها تفيض سحراً وبهاءً تهز القلوب والعقول، هذه الكاتبة الأديبة شقت الطريق لأترابها فكانت أعجوبة في بيانها، إنها زعيمة بنت الباشا سليمان البارونية، ولدت بالتقريب عام 1320هـ بطرابلس بليبيا، نشأت في أسرة العلم والتقوى، أسرة الباشا الباروني تعلمت القراءة والكتابة فتنبهت في نفسها الرغبة في المطالعة والدراسة العميقة في فنون العلم المختلفة، حتى أصبحت كاتبة بارعة، حيث شاركت بمقالاتها في مختلف الصحف والمجلات مثل مجلة (صوت المربي) الطرابلسية ومجلة الأفكار، ولها مراسلات قيمة في أمثال هذه الشؤون العامة مع أخيها تدل على مبلغ علمها وثقافتها وأخلاقها وإخلاصها لمبدئها، امتازت هذه السيدة الفاضلة بأسلوبها القصصي الشيق، الخفيف الروح، وورثت زعيمة الروح الفدائية عن والدها العظيم، واختارت لنفسها حياة الانقطاع من أجل عملها ووطنها ومن أجل أبناء أخيها إبراهيم فلم تتزوج، وبذلت الوقت والجهد لتربية أبناء أخيها إبراهيم فكانت تقول: (إني أعاهد الله أن أبذل جهدي في تنشئة أبناء أخي التنشئة التي أرادها لهم جدهم المرحوم الوالد الباشا ولو كلفني ذلك آخرة قطرة من دمي)، ومن مؤلفاتها النفيسة: (أبي كما عرفته) وهو كتاب عن حياة والدها سليمان باشا الباروني، ومن مقالاتها البليغة مقالة بعنوان (فزان البعيدة) في مجلة صوت المربي العدد الأول، ومقالة (وفق الله الجهود النبيلة)، ومقالة (بنت الحاضرة) في مجلة الأفكار العدد السادس، وغيرها من المقالات التي ذكرناها على سبيل المثال وليس على سبيل الخصر، أما وظيفتها فقد كانت مع قيامها بشؤون الأسرة وأبناء أخيها إبراهيم ، كانت معلمة ببعض مدارس البنات بطرابلس، ثم ترقت لحسن سيرتها وكمال استعدادها إلى أن أصبحت نائبة لمديرة دار المعلمات بطرابلس، فجدير بنا أن ندوّن تاريخ هذه المرأة الفاضلة وأن نتأمل سيرتها وأعمالها الطيبة.

** ** **

ثريا البوسعيدية

(108/1)

هذه المرأة سيرتها بذل وعطاء وإنفاق وسخاء، بذلت مالها في سبيل الله والفقراء والمساكين ولطالبي العلم واستجابت لنداء رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما حث النساء على الصدقة فهيا بنا نتعرف على سيرة هذه المرأة السخية.

هي السيدة ثريا بنت محمد بن عزان البوسعيدية، نشأت في بيت فضل وأدب ودين، فكان أبوها رجلاً اشتهر بالفضل والجود، ومما ساعده على ذلك ما أمده الله به من المال الوفير، أقام والدها فترة في بوشر ثم في بيت الوكيل الذي كان خلف المسجد الذي ارتبط اسمه بتلك الدار الطيبة، اتصفت هذه المرأة الفاضلة بالسخاء، فكانت تهب أموالها لوجه الله تعالى، فقد أوقفت أموالا كثيرة ومن أمثلة ذلك:-

... * مقصورة الرمامين وكانت مقصورة جميلة أوقفتها رضي الله عنها لمسجد الوكيل,

... * مقصورة خرس المالح وأرض أخرى أوصتها لمقبرة.

... * مقصورة بجانب مقصورة خرس المالح أوقفتها السيدة لمجلس المقحم في بوشر.

ولقد رأت بثاقب بصيرتها أن العلم وأهله هم أحق الناس بالصدقة لما لهم من دور في إحياء الأمة والمضي بها قدما نحو المجد والسؤدد، فعينت الشيخ سليمان بن زهران الريامي وكيلا لها بمسجد الوكيل، يوزع نفقتها على الدارسين فيه وطالبي العلم، وقد تخرج منه جملة من العلماء والمشايخ الذين انتفعوا من النفقة ونفعوا من جاء بعدهم، وندرج هنا بعضا منهم للمعرفة وليس للحصر كالشيخ القاضي سالم بن فريش الشامسي، والشيخ القاضي ربيعة بن أسد الكندي قاضي مطرح سابقاً، والشيخ القاضي سيف بن أحمد الكندي، وقد اشتهر مسجد الوكيل برواد العلم والمعرفة الذين كانوا يرتادونه في القرن التاسع عشر الميلادي وبدايات القرن العشرين ويعتبر بيت السيدة ثريا أو ما يسمى بالبيت الكبير من أهم المعالم الأثرية في بوشر.

** ** **

عائشة الحارثية

(109/1)

نستطيع أن نقول إنها الشاعرة الوحيدة في هذا العصر، لما اتصفت به من بلاغة المنطق وفصاحة اللسان وقوة النظم، كان لنشأتها في بيت الدين والعلم والأدب أثر في صقل موهبتها، وتكوين وجدانها وتنمية عبقريتها وتفتح شاعريتها إلى أرحب مدى وأوسع أفق.

إنها الشاعرة الجليلة عائشة الحارثية، كان والدها عيسى بن صالح الحارثي الشيخ العلامة الذي هو أشهر من نار على علم، ولدت عائشة في مسقط عام 1364هـ، نشأت هذه البرة الكريمة في بيئة صالحة في بيت علم وأدب وفضل ومكانة، وعُرف عن أسرتها حبهم للعلم والأدب من أب وأخ وخال، حفظت بعضاً من سور القرآن الكريم، وتهذبت وتمسكت بالدين والتقى، سمعت الكثير من قصائد التراث الشعبي وحفظت بعضاً منها، ومما شجعها على ذلك البيئة الأدبية التي نشأت فيها، تزوجت من الشيخ العلامة سعيد بن حمد الحارثي، تاقت نفسها إلى نظم الشعر فجاءت به على أساليب رقيقة وأفانين أنيقة، وقد بدأت بنظم الشعر منذ الصغر وأول بيت قالته: ...

... ... أحسن لسانك مهما استطعت ... ... فإن اللسان عدو مبين

قال عنها صاحب شقائق النعمان، الأديب محمد بن راشد الخصيبي:

... ... ومن الصالحات من أهل رشد ... ... حُرة لم تزل من المحصنات

... ... بنت علامة أمير زكي ... ... ذاك عيسى بن صالح ذو التقاة

وذكر بعض من قصائدها في كتابه (شقائق النعمان على سموط الجمان في أسماء شعراء عمان)، كما نشرت بعضاً من قصائدها في الصحف المحلية العمانية مثل مجلة العقيدة والأسرة، ومن نماذج أشعارها قصيدتان، الأولى بعنوان المرأة في ميزان الإسلام:

... ... جمال فتاة المسلمين حياؤها ... ... وحليتها دين به تتجمل

وزينتها بين النساء حجابها ... ... إذا أدبرت أو أقبلت فيه ترفل

إذا بقيت في البيت فهي أميرة ... يوقرها من حولها ويبجل

وإسهامها للشعب أن قدمت له ... ... رجالاً أعدوا للبناء وأهلوا

رعتهم صغاراً فهي كانت أساسهم ... تلقن كلاً ما يقول ويفعل

أجبتك عنها فهي ليست بقطعة ... الأثاث وليست آلة تتنقل

قولها: (تدير شؤون البيت أو فيه تعمل)، لاينافي أن تعمل المرأة فيما فيه نفع المسلمين كمدرسة أو طبيبة أو مثل هذا، على شرط الاحتشام والتمسك بأمر الإسلام وقولها: (أجبتك عنها) لأن الباعث لهذا النظم أن سمعت الناظمة في البث المباشر امرأة تقول: (لا يجوز أن تلزم المرأة البيت فتكون كقطعة أثاث منه).

والقصيدة الثانية التي هي بعنوان نداء الخير:-

... ... من ذا الذي يخشى آبقا ... ... يبغي الملاذ إلى ضعيف واني

... ... من ذا الذي يخشاه بعد سقوطه ... ... متردياً في ذلة وهوان

... ... ومن الذي يؤويه بعد هروبه ... من بطش جبار عظيم الشأن ...

... ... صهيون تضربكم بأمر قد أتى ... ... من ذي الجلال مدبر الأكوان

... ... نلتم جزاءكم على أيديهم ... ... بضياع دين أشرف الأديان

... ... فيمن تلوذوا؟ بالنصارى علهم ... يأتيكموا بالعون والإحسان

... ... تتهددوا الأعداء بسهم فارغ ... ... سنحطم الأعداء بكل مكان

... ... أنتم ومن حاربتموه جميعكم ... ... في زيكم وسلوككم صنوان

... ... في قولكم في الفعل في أفكاركم ... ... من ذا يصدق أنكم خصمان

... ... لقد انحرفتم عن شريعة ربكم ... ... ولقد سلكتم مسلك الشيطان

... ... تستصغرون كبائر الأشياء بل ... ... تستهزئ\ون بمنهج القرآن

... ... فنساؤكم تمشي سفورا بينكم ... ... وتجاهرون الله بالعصيان

... ... تجري أمامكم وتجروا خلفها ... ... فخرا بها ويؤمكم نصراني

... ... والخمر أصبح عادة مألوفة ... ... فيكم بلا خجل ولا كتمان

... ... وبذلتموا للراقصات نقودكم ... ... سفها فيا للعار والخسران

... ... ضيعتموا في اللهو معظم وقتكم ... ... ورضيتموا بالذل والنقصان

... ... هذا وأنتم تحت وطأة غاصب ... ... ماذا ترى لو أنكم بأمان

... ... للمسرحية والفكاهة أنتم ... ... لستم لردع البغي والعدوان

... ... والله إن النصر لن يأتيكموا ... ... أبدا وربي الواحد الديان

... ... لو تتقون الله حق تقاته ... ... عملا وتوحيدا وصدق بيان

... ... لأتاكم النصر المبين معجلاً ... ... لا شك ذا حق على الرحمن

امتازت قصائدها بأسلوب يفيض بالنصيحة لطريق الخير، وتطفح منها كلمات الإيمان بالله

وبالدين وبكلمة الحق، بعفوية صريحة تعبر عن مشاعرها، ويحق أن يقال لهذه الشاعرة إنها وحيدة عصرها.

(111/1)

... ...

** ** **

(112/1)